

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

شعبة الفلسفة



## مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في الفلسفة وتعليميتها

تحت عنوان :

### الأخلاق والتواصل عند يورغن هابرماس

تحت إشراف :

أ. بن دنية سعدية.

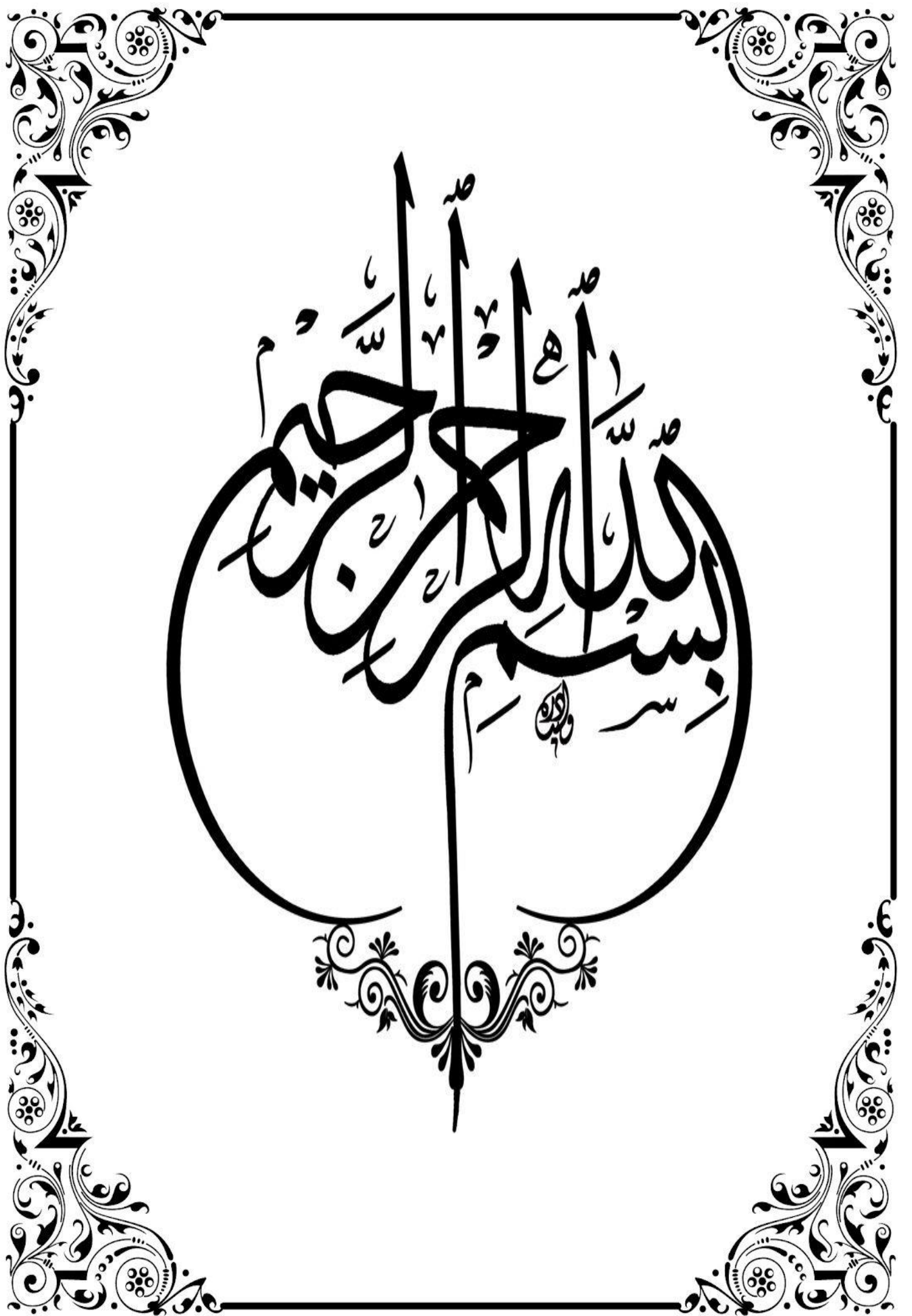
من إعداد الطالبة :

\* مخالدي صارة.

السنة الجامعية

2018 - 2017

سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ



## الإهداء

لى كل من تفتت الحقيقة من روحه وجمسه ...

لى من بعثت فى نفسى الصبر والتفازل والأمل للمضى قدما فى تحقيق أحلامي ... لى نبى

الحنان التى لا ينبض قلبى إلا بحبها غالىتى والذى قرأ عيني ومسكن روحى.

لى ينبوع العطاء الذى زرع فى نفسى الطموح والمثابرة، لى من دحنى الدهر ظهره وتحملى

عذابات السنين ... رفيق وبى وقدرتى والذى قطعة من روحى.

لى من دحترقا لينيراد بى لى من يعجز اللسان عن تعداد فضائلهما، لى اللذان أعطا وصحا

وكان صبرهما وحسما وإصرارهما نبوا سايفىء مسيرة حياتى والذى الحبيبان.

لى كل من مضى فى صمت الرهبان لى ملكوت الأبدية.

لى من ظل يقارع بمنخله طواحين الزمن الغامرة ... إليهم فقط.

لى سند الزمان وملجئى خاتى الحبيبة نورة حفظها الله وأدامها ولى زوجة خالى مليكة ملكة

الرحمة والعطاء ذات القلب الحنون.

لى من ضاقت السطور عن ذكرهم فوسعهم قلبي .. اخواني وخالتي

لى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي .. لى سند ظهري اخوتي، لى كل من

واساني في احلك اللحظات

لى الاكسیر الذي اخرج روحي من وهاليز الياس واهوار الامل والاعتناق .. ولى كل

من له ورة لمحبة الحكمة

لى هابرماس الذي فتح عيني على آفاق جديدة.

## شكر وعرافان

بكل تعابير الشكر والعرافان والامتنان وتوجه بالشكر لكل من كان لي محطة رسيت فيها

لي ان اتممت عملي

لي كل من شد اذري وارسند ظهري..

لي كل موجة في بحر المعرفة..

اشكر بوجه خاص الاستافة الموطرة، الدكتور بن ونية سعيدة على صبرها وثباتها وعمها

المتواصل.

وكما اشكر اعضاء اللجنة العلمية على قبولهم قراءة بحثي لإمدادي النصائح المفيدة والقيمة

في المسرى العلمي الاكاديمي.

كما اتقدم بالشكر لي كل من اتاح لي سبل المعرفة الممكنة طيلة مشواري الدراسي ومن

اجل تحصيل علمي.

خالص الشكر لكل اساتذتي بجامعة عبد الحميد بن باديس - مستغانم على صبرهم

واخلاصهم

وتوجه بخالص الشكر والامتنان لي زهرة سكرتيرة قسم الفلسفة



# المقدمة

### مقدمة :

لقد عمل الفلاسفة الأوائل منذ البدايات الأولى لظهور الفلسفة مع أفلاطون وأرسطو على وجه التحديد على إرساء أسس ومبادئ أخلاقية تقوم عليها الإنسانية، تكفل لها تحقيق السعادة والملاحظ على هذا الفكر أنه يتسم بطبيعته الذاتية حيث لم تخرج الأخلاق عن سياقها الذاتي، وهذا ما ينطبق على الفلاسفة اللاحقين، أما بالنسبة لهابرماس فقد كان تصوره الأخلاقي مختلفا عن تصور السابقين عنه، حيث عمل على نقد وتفكيك مفهوم الأخلاق بوصفها بعدا منغلقا متمركزا حول الذات الإنسانية.

ومن هنا حاول هابرماس أن يتناول هذه القضية من مناحيها الأخرى والتي نلتمسها من خلال حديثه عن الحوار والنقاش وعلاقتها بالتواصل، حيث يؤكد أن الإتيقا مرتبطة في جوهرها بالفعل التواصلي المؤسس على الحوار.

إن الحوار الأخلاقي داخل الفضاء العمومي الذي يدعو له هابرماس هو الذي يمنح لكافة الأفراد التعبير عن أفكارهم وأرائهم وهذا ما يسمح بالتفاهم والتفاعل الأمثل.

ويشكل التواصل مفهوما حمالا لعدة أوجه ودلالات فهو بالدرجة الأولى عقد يربط بين الصلة و مجموعة من المفاهيم، كما أنه يعبر عن حوار مع الحداثة التي تأثر بها أفراد المجتمع، ومن هذه المبادئ تمكن هابرماس من فتح مجال جديد للعقلانية التواصلية التي انبثقت فعبرت في بداياتها الأولى عن نظرية فلسفية لتصل في نهاية المطاف إلى نظرية سياسية.

وبما أن هابرماس ينتمي إلى مدرسة فرانكفورت النقدية فلا شك أن الفعل التواصلي الهابرماسي هو فعل نقدي وفلسفي ولغوي يرتكز على الحوار الإتيقي، ومن هذا المنطلق يصح القول أن العقلانية التواصلية هي بمثابة بديل بغية توفير آليات المناقشة البناءة، وبهذا المقتضى إذن تتم حماية الإنسان من أخطار وتهديدات الأدوات، على نحو يعيد

التوازن بين الإنسان والتقنية، وعليه تم اختيارنا لموضوع الأخلاق والتواصل في فكر يورغن هابرماس نظرا لأهميته ويعود ذلك إلى عدة أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

و فيما يتعلق بالأسباب الذاتية فيمكن القول أن الأخلاق والتواصل موضوع قد لفت انتباهنا، وقبل ذلك فهو موضوع لطالما سلطت أضواء الدراسة عليه.

لقد اخترنا هذا الموضوع لكونه يفتح أمامنا آفاقا جديدة حول الفكر الغربي وهو ما من شأنه أن يعيننا في التطلع إلى دراسات عليا، كما أننا وجدنا في هذا الموضوع انفتاحا على الآخر من خلال ما جاء به هابرماس في نظرية التواصل.

أما الأسباب الموضوعية فيمكن أن تتجلى كما يلي: أنه من الملاحظ على فكر هابرماس ميله إلى النزعة النقدية وهو جوهر التفلسف الذي نحن في أمس الحاجة إليه في واقعنا العربي المعاصر.

يمثل هابرماس أبرز الفلاسفة الذين دعوا إلى التفكير في العالم من خلال نظريته في التواصل حيث أن هذا التواصل لا يخص الواقع الغربي وإنما يتعداه إلى غيره، كما نجد محاولته الرائدة في لفت الأنظار إليه.

ومن هنا تبرز ملامح إشكاليتنا الأساسية والتي نصيغها على النحو الآتي:

**ما هي الكيفية التي عالج بها هابرماس العلاقة بين الأخلاق والتواصل؟**

وقد ارتأينا أن نزود إشكاليتنا هذه بأسئلة أخرى فرعية من أجل تحليل أكبر محاولة منا إيضاح الإجابة عن الأطروحة المقدمة :

أ- كيف ساهم مفهوم الحداثة في بلورة فكر هابرماس الإتيقي؟

ب- كيف تجسدت تلك الفاعلية التي تحملها اللغة كبعد تواصلية في الفضاء

العمومي؟

ت- ما هو الإعتبار الذي جاء به هابرماس لتبرير موقفه في علاقة قائمة بين الإتيقا والتواصل؟

ث- هل كان طموح هابرماس إلى صياغة نظرية نقدية تواصلية قائم على أساس تداولي لغوي وخالي من هيمنة الحداثة؟

لقد حاولنا في أطروحتنا هذه اعتماد منهج يتناسب مع المعطيات التي لدينا فوجدنا أنه من الجلي استخدام المنهج الوصفي التحليلي، حيث نقوم بوصف الحفريات المعرفية التي ساهمت في بناء نظرية هابرماس حول التواصل ومن ثمة يمكن تحليل وتركيب بين مفهوم الأخلاق من جهة ومفهوم التواصل من جهة أخرى.

أما في ما يخص الدراسات السابقة لموضوع بحثنا "الأخلاق والتواصل" فنجد مثلا :

1. دراسة الطالب أؤينة سليم، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس والتي كانت تحت إشراف د. لخضير مذبوح 2008-2009 م. ومن أهم النتائج التي خلصت إليها الدراسة هي أن المشروع الهابرماسي بأسره مبني على فكرة الثقة في اللغة باعتبارها تواصلية في الأساس وليست تنازعية، فقدرتنا على التواصل ذات بنية وقواعد أساسية لا توجد إلا في رحمها والتجربة التواصلية ليست هي القدرة على إنتاج جمل تخضع لقواعد معينة.
2. محمد الأشهب، مذهب التواصل في الفلسفة النقدية لهابرماس تحت إشراف د. لحكيم بناني، 2006-2007 م، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها : تمثلت في مهمة هابرماس لإعادة بناء الفلسفة الماركسية قصد فهم طبيعة الصراعات والتفاعلات الاجتماعية داخل المجتمع، فهذه الأبحاث توضح مراحل تطور الوعي الأخلاقي.

وللإجابة عن الإشكالية التي طرحناها قمنا بتقسيم العمل إلى فصلين مسبقين بمقدمة ويليهما مدخل مفاهيمي الذي أشرنا فيه إلى شرح أهم المصطلحات الواردة في بحثنا

هذا وفصلين، إضافة إلى ذلك الملاحق والتي ذكرنا فيها أهم الفلاسفة الذين سبق الإشارة إليهم في المتن.

كان الفصل الأول متبوع بتوطئة كتمهيد للفصل، ولقد عنونا الفصل الأول بالحفريات الأخلاقية والفلسفية في فكر هابرماس، إذ قسمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث، المبحث الأول تطرقنا إلى خلفيات مرجعية لفكر هابرماس، أما المبحث الثاني فارتأينا أن ندرج فيه مدرسة فرانكفورت وإسهامات هابرماس، والمبحث الثالث درسنا فيه مسألة الحداثة وموقف هابرماس منها والمبحث الرابع كان لمفهوم الإتيقا عند هابرماس وفي الختام قمنا باستخلاص ما قدمناه من خلال الفصل.

أما الفصل الثاني فقد كان لمعالجة إشكالية المذكورة لذلك ارتأينا أن نسميه من أجل أخلاق تواصلية، بدأناه أيضا بتوطئة و احتوى هذا ثلاثة مباحث، الأول كان تحت اسم اللغة والتواصل أما الثاني فخصصناه لإتيقا المناقشة والحوار، وفي الأخير النظرية التواصلية بعدسة هابرماس.

وفي الختام أرجو أن يكون البحث المتواضع في مستوى تطلعات القارئ عامة وأساتذتي الكرام خاصة.



مدخل  
مفا هيمي

### مدخل مفاهيمي :

**الأخلاق Ethique :** هي شكل من أشكال الوعي الإنساني يقوم على ضبط وتنظيم سلوك الإنسان في كافة مجالات الحياة الاجتماعية بدون استثناء، في المنزل مع الأسرة وفي التعامل مع الناس، في العمل وفي السياسة، في العلم والأمكنة العامة. ومن جملة هذه العلاقات تتكون الأخلاق والقيم حسب خصوصية كل دولة.<sup>1</sup> والأخلاق هي دراسة وتقييم السلوك الإنساني على ضوء القواعد الأخلاقية التي تضع معايير للسلوك، يضعها الإنسان لنفسه أو يعتبرها إلتزامات وواجبات تتم بداخلها أعماله أو هي محاولة لإزالة البعد المعنوي لعلم الأخلاق وجعله عنصرا مكيفا، أي أن الأخلاق هي محاولة التطبيق العلمي والواقعي للمعاني التي يديرها علم الأخلاق بصفة نظرية ومجردة، وكلمة أخلاق Ethic مستخلصة من الجدار اليوناني Ethos ، والتي تتخلل الفرد أو مجموعة من الناس في المجتمع. وباللغة الأجنبية فيختلف لفظ Ethic عن لفظ Déontologie حيث تم اشتقاق هذا الأخير من الجدار اليوناني Deontos والذي يعني ما يجب فعله و Logos والتي تعني العلم، إنها مرادف للأخلاق المهينة لمهنة معينة.<sup>2</sup>

**الأخلاقيات :** هي وثيقة تحدد المعايير الأخلاقية والسلوكية المهنية المطلوب بأن يتبعها أفراد جمعية مهنية، وتعرف بأنها بيان المعايير المثالية لمهنة من المهن تتبناه جماعة مهنية ومؤسسة لتوجيه أعضائها لتحمل مسؤولية ولكل مهنة أخلاقيات وآداب عامة حددتها القوانين واللوائح الخاصة بها. ويقصد بآداب أخلاقيات المهنة الواحدة بحيث تكون مراعاتها محافظة على المهنة وشرفها.<sup>3</sup>

**الأخلاق (Moral) :** هي الإقلاع الإرادي عن إشباع حاجة أو رغبة، وينتمي هذا المصطلح إلى المصطلحات الرواقية (الامتناع والتعفف - Abstine et sustine) ويستعمل في أيامنا

<sup>1</sup>- مصطفى حسيبة: المعجم الفلسفي. دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2009 ، ص 40.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 41.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بمعنى متخصص جدا، متعلق بالدعاية المضادة للكحول الممنع l'abstinent ، هو ذلك الذي يقلع إقلاعا عن تعاطي الكحول في مقابل المتهاود Tempérant.<sup>1</sup>

كما أن مفهوم Moral ابتكره شيشرون حسب moralis، صفحة قوله لترجمة الكلمة اليونانية.<sup>2</sup>

**الأخلاق وعلم الأخلاق Moral et Ethique** : المقصود بالأخلاق معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكو بها النفس ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها. وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة. ولقد تكون علم الأخلاق منذ العصر اليوناني القديم في مقابل الطبيعيات الأيونية، ولمعرفة ما يجب على الإنسان فعله لبلوغ السعادة تحدث الفلاسفة عن طبيعة الوجدان والضمير والواجب والخير والعدل...<sup>3</sup> وبنوا جميع المفاهيم الأخلاقية التي تصورها على الأسس المستمدة من مبادئهم الفلسفية العامة.

والأخلاق النسبية هي مجموع قواعد السلوك الخاصة بمجتمع معين في زمان معين والتي تختلف من مجتمع لآخر ومن زمان إلى آخر. أما الأخلاق المطلقة فهي مجموع قواعد السلوك الثابتة التي تصلح لكل زمان ومكان.<sup>4</sup>

والأخلاقي Moral هو المنسوب إلى الأخلاق وإلى قواعد السلوك المقررة في زمان معين. أما اللا أخلاقي Immoral فيطلق على السلوك المناقض للأخلاق.

وأخيرا فرق الفلاسفة بين الأمر الأخلاقي والأمر الذي هو معزل عن الأخلاق Amoral. كسلوك الحيوان الذي هو سلوك محايد لا يوصف بأنه أخلاقي أو لا أخلاقي.<sup>5</sup>

<sup>1</sup>- أندري لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية- المجلد A-G3، تعريب : خليل أحمد أحمد، منشورات عويدات، بيروت،

ط2، 2008، ص 10.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 837.

<sup>3</sup>- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية- دار الجنوب للنشر، تونس، د ط، 2004، ص 24.

<sup>4</sup>- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، الصفحة 25.

**الحدائثة :** تعبير كلمة الحدائثة (عصرنة أو تحديث) عن أي عملية تتضمن تحديث وتجديد ما هو قديم، لذلك تستخدم في مجالات عدة. لكن هذا المصطلح يبرز في المجال الثقافي والفكري والتاريخي ليدل على مرحلة التطور التي طبعت أوروبا بشكل خاص في مرحلة العصور الحديثة، بشكل مبسط يمكن تقسيم التاريخ إلى خمسة أجزاء: ما قبل التاريخ، التاريخ القديم، العصور الوسطى، العصر الحديث والعصر ما بعد التحديث.

معظم الحياة الحديثة تغذت من مصادر متعددة : اكتشافات علمية مذهلة، معلوماتنا عن موقعنا من الفضاء وتصورنا عنه، مكنزة الصناعة التي حولت المعرفة بالعلوم إلى تكنولوجيا وغيرها ... كل هذا يخلق بيئات جديدة للبشر ويدمر القديمة، فهو يعجل حركة الحياة، يبلور أفكارا واتجاهات اجتماعية وسياسية ودينية، يكون قوى وسلطات جديدة ويعقد العلاقات بين الناس وبعضهم وبين الناس والمؤسسات المختلفة ويزيد أو يغير اتجاهات الصراعات الطبقيية ويفصل الملايين من البشر عن تاريخهم وعاداتهم الموروثة منذ الأزل.

**والحدائثة Modernity :** هي مذهب فكري أدبي علماني، أسس على أفكار وعقائد غريبة خالصة مثل : الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية والتأثر بالمذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية وغيرها.<sup>1</sup>

**فلسفة اللغة Philosophy of language :** اللغة تميز الإنسان عن الحيوان بحكم أنها بنت الفكر، فالإنسان يعي ما يقول بعكس الحيوانات ولو امتلكت أعضاء النطق. بالإضافة إلى أن اللغة والفكر يمكن اعتبارهما مرتبطان كوجهي القطعة النقدية لا يجوز فصلهما وخير مثال على ذلك هو أننا نفكر باللغة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 179.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 438.

**العقلانية Rationalisme** : هي مذهب فكري فلسفي يزعم أن الاستدلال العقلي هو الطريق الوحيد للوصول إلى معرفة طبيعة الكون والوجود، بدون الاستناد إلى الوحي الإلهي أو التجربة البشرية، وأنه لا مجال للإيمان بالمعجزات أو خوارق العادات. كما أن العقائد الدينية يمكن بل ينبغي أن تختبر بمعيار عقلي، وهنا تكمن علة التي تجعله مناوئاً ليس فقط للفكر الإسلامي بل أيضاً لكل دين سماوي صحيح. وتعرف العقلانية Rationalist أيضاً بالحركة العقلانية، وهي منحى فلسفي يؤكد أن الحقيقة يمكن أن تكتشف بشكل أفضل باستخدام العقل والتحليل الواقعي وليس بالإيمان والتعاليم الدينية.

وهذا المبحث قديم جديد في الوقت نفسه، برز في الفلسفة اليونانية على يد سقراط وأرسطو، برز في الفلسفة الحديثة والمعاصرة على أيدي فلاسفة أثروا كثيراً في الفكر البشري أمثال : ديكارت وليبنز وسبينوز وغيرهم...<sup>1</sup>

إن عقلنة النسق أو عقلنة النظام التي أنتجها هابرماس والتي قصد بها إمكانية عقلنة الأنساق في الحياة الاجتماعية من خلال العقل الأداتي الاستراتيجي، إلا أن عالم الحياة أو العالم المعيش لا يمكن عقلنته بالتكميم والحسابية بل عبر نوع من العقلانية التفاهمية وهي التواصلية فضلاً عن الطبيعة التي تلتزم العقلانية الأداة بمهمة عقلنتها.<sup>2</sup>

ويقصد بالعقلانية الطبيعية "التصالح بين الداخل (الذات) والخارج (العالم والطبيعة)" والائتلاف بينهما من غير اختلاف<sup>3</sup>، ويقضي مفهوم العقلانية هنا إلى انتقال الفكر الإنساني بعلاقته مع الطبيعة من متأمل لها منبهاً بما فيها، متعجباً تجاه ظواهرها إلى أن يغزوها وينقلب فيها ويبحث عن تفسيرات لكل تساؤلاته حولها.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 324.

<sup>2</sup> نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة : يوسف فهمي حجازي، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2010، ص 232.

<sup>3</sup> محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيجل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، ط 1، 2008، ص 263.

<sup>4</sup> محمد الشيخ وياسر الطائي، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1996، ص 13.

**التواصل** : هو مصطلح أجنبي يقابله *continuité* وهو يعني الاستمرارية ويتضمن مفهوما آخر يتلامس معه وهو مفهوم الاتصال *communication*.<sup>1</sup>

**اللغة *langue*** : هي مجموعة الأصوات المفيدة وهي ما يعبر بها كل قوم عن أغراضهم على حسب الجرجاني وتطلق أيضا على ما يجري على لسان كل قوم لأن اللغة هي الآلة التي يتم بها النطق.<sup>2</sup>

**النظرية النقدية** : في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية يستخدم مصطلح النظرية النقدية للإشارة إلى نظريتين مختلفتين تماما تاريخا ونشأة، الأولى نشأت من النظرية الاجتماعية والأخرى من النقد الأدبي، إلا أن التطورات اللاحقة هي مناهج العلوم الاجتماعية واضحة بين النقد الأدبي الذي بنى النص ومكوناته وبين دراسة المجتمعات البشرية وأنظمتها، كل هذا جعل من مصطلح النظرية النقدية شائعا جدا في الأكاديمية لكنه مصطلح واسع يغطي مجالا شاسعا من النظريات العلمية التي تتناول منهجيا لدراسة العلاقات بين المكونات سواء كانت مكونات أدبية نصية أو مكونات اجتماعية أنتروبولوجيا وهي غالبا ما تدرج ضمن.<sup>3</sup>

**اتصال *communication*** : هي التعبير والتفاعل من خلال بعض الرموز من أجل تحقيق هدف معين، وتنطوي على عنصر القصد والتدبير. هذه الكلمة مشتقة من الأصل اللاتيني *communis* بمعنى المشاركة وتكوين العلاقة. كما يرجع البعض إلى الأصل *common* بمعنى عام أو مشترك. وفي اللغة العربية ترجع إلى الفعل اتصل، والاسم يعني المعلومات المبلغة أو الرسالة الشفوية أو تبادل الأفكار والآراء والمعلومات عن طريق الكلام أو الإشارات والرموز.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، د س، ط 1، 2005، ص 16.

<sup>2</sup> - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1982، ص 286.

<sup>3</sup> - مصطفى حسيبة المعجم الفلسفي، المرجع السابق، ص 625.

<sup>4</sup> - مي عبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال، دار النهضة العربية، لبنان، ط 1، 2014، ص 21.

تواصلية **connectivity** : هي القدرة على إحداث التواصل مع البرمجيات والأجهزة المختلفة، أو نظام الاتصال بأكمله.<sup>1</sup>

**العقل التواصلي** : هو مفهوم صاغه هابرماس لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل المتمركز حول الذات والعقل الشمولي المنغلق الذي يدعي أنه يضمن كل شيء.<sup>2</sup>

**البراكسيس (الممارسة Praxis)** : جانب من النشاط العملي الموجه نحو الطبيعة والمجتمع، وترى الماركسية أن الممارسة هي ما يحدد حياة المجتمع ويشكل مضمونها ويبين الأسباب الفعلية للتطور الاجتماعي.<sup>3</sup>

**البندائية (intersubjective)** : هي كلها معاني تدل على معنى الشراكة بين الذوات من أجل تحصيل نوع من التوافق والإجماع، على خلاف فلسفة الذات التي تحيل الحقائق إلى المركز فيها، وحاول هابرماس بذلك أن يجعل التذاوت منفذا للخلاص من مركزية الذات في صنع الحقائق وجعلها موضوعية عبر الشراكة في حوار بينذاتي.<sup>4</sup>

**التداولية** : هي علم يهتم بدراسة معاني المفردات اللغوية والعبارات و الجمل وعلى وجه الخصوص المعاني التي تحملها المفردات لدى استعمالها في سياقات لغوي أو لدى استعمالها في إطار المعنى المقصود الذي يصدر عن المتحدث، والتداولية تعني دراسة علاقة العلامات أو اللغة.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - مي عبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للإعلام والاتصال، المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس - الأخلاق والتواصل، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، د ط، ص 135.

<sup>3</sup> - مجموعة باحثين، المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة : توفيق سلوم، دار التقدم، موسكو، ط 1، 1986، ص 479.

<sup>4</sup> - علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحداثة، منشورات الاختلاف دار الأمان، د ب، ط 1، 2010، ص 43.

<sup>5</sup> - عمارة ناصر، الفلسفة والبلاغة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2009، ص 67.

# الفصل الأول

## توطئة :

لقد تناولنا في هذا الفصل الإرهاصات والخلفيات والدواعي التي كانت سببا في تأسيس فكر يورغن هابرماس، والتي يضطرنا سياق البحث للخوض فيها. لذلك إرتأينا أن نوزع هذا الفصل عبر أربعة مباحث بحيث تطرقنا للسيرة الذاتية لهذا الفيلسوف الألماني كبداية تقديمية وأهم مراحل فكره و منطلقاته الفلسفية السوسولوجية بما فيه أبرز الفلاسفة الذين تأثر بهم. ذلك أننا وجدنا بأنه لا يمكننا تخطي هكذا مرحلة كون هذه الأخيرة كانت بمثابة قفزة تمهيدية لما قدمه فيما بعد. وأدرجنا أيضا ما تعلق بمدرسة فرانكفورت وأهم المعطيات التي وصلت إليها سواء من جيلها الأول أو جيلها الثاني الذي عرف فيه هابرماس وما قدمه هذا الأخير كتغيير فيها أو كإضافة. وفيما يلي هذا مشروع الفلسفي ورؤيته للحدثة مفهوما وتاريخا. إن الحدثة لم تكن وليدة الصدفة، إنما جاءت طورا بعد طور من رحم الظروف التي ساعدت على ظهورها. فقول هابرماس بأنها "مشروع لم ينجز بعد" دفعه إلى إقحام نفسه فيها إذ سنلتمس هذا الأمر جليا فيما بعد. وكختام للفصل وتمهيد للفصل الموالي لجأنا إلى تبيان مفهوم الإتيقا وما الذي تعنيه لهابرماس.

وحقيقة الأمر لقد تنوعت مؤلفات هذا الأخير فشملت عدة مجالات إن لم نقل كلها. فكيف تبلور نشاط هابرماس الفكري الفلسفي؟ وعلى أي أساس لقب بمؤسس مدرسة فرانكفورت للجيل الثاني؟ ولماذا كانت الحدثة من منظوره مشروعا لم يكتمل؟ لقوله: "إن الحدثة مشروع قيد الانجاز".

الفصل الأول : الحفريات الأخلاقية والفلسفية في فكر هابرماس

المبحث الأول : المرجعيات الفلسفية الأخلاقية في فكر هابرماس

يورغن هابرماس الفيلسوف الألماني ورائد الخطاب السياسي النقدي يعد العلامة الفارقة في الحياة الفلسفية المعاصرة على الصعيد الألماني، والصوت الأكثر حضوراً وتأثيراً على الفلسفة الألمانية منذ أكثر من 50 عاماً، وهو أحد أقطاب حركة الإصلاح الألماني النقدي 1950-1973 التي أخذت على عاتقها نشر وتأسيس علم الاجتماع وعلم الفلسفة وعلم النفس ...

يعتبر هابرماس اليوم أحد الفلاسفة النكديين المعاصرين الكبار، إن لم يكن الفيلسوف الوحيد الذي بقي على قيد الحياة بعد وفاة ميشال فوكو عام 1884، وذلك بسبب البناء الفكري الرصين والتيار النقدي الذي قاده إلى مرحلة متقدمة والانفتاح على العلوم الأخرى.

وصل هابرماس إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي في حين لم ينجح الرعيل الأول من ممثلي مدرسة فرانكفورت في البلوغ إليها، فعلى الرغم من الكم الهائل للأفكار التي وصل إليها الجيل الأول (هوركهايمر- أدورنو- ماركيز ... ) إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الأكثر تأثيراً على المشهد الثقافي والسياسي وغيرهما من المجالات الأخرى، إذ عُرف كفيلسوف للجمهورية الألمانية. كما أنه قد تأثر بأستاذه أدورنو لكنه تجادل معه أيضاً، في حين كرس حياته العلمية لاستعادة الدفاع عن مشروع النقد التنويري أو ما يسميه الخطاب الفلسفي للحدثة.

وفي أعماله المبكرة كما في 1968 Knoining and human interests تبني نهجا كانطيا وماركسيا هاماً، حيث نشد إعادة تشكيل نسب العلوم الطبيعية والإنسانية الحديثة عبر البحث في ظروفها ونشأتها الاجتماعية. ذهب هابرماس أيضاً إلى أن مثل هذا البحث إنما يكشف عن عملية تخصصية متزايدة في مختلف مجالات الاهتمام بالمعرفة المكونة

حيث تقود إلى منطقة لا يتاح فيها سوى منظور محدود للحوار النقدي العليم بينها<sup>1</sup> ، هكذا يفسح التفكير مكانة لمفهوم ساذج وغير تأملي ( وضيعي ) للمنهج العلمي من جهة ولمختلف صور الإقناع الذاتية النسبية أو اللاعقلانية الصرفة في الفلسفة.

لقد أراد هابرماس طرح تصور مغاير لهذا التاريخ يفصل في كل مواضعه العمياء المميزة، أي استثماراته الإيديولوجية، بنى التحامل المحرصة.

يختلف الشراح إلى حد كبير في تقويمهم مدى قدرة تحمل هذا المشروع مواجهة الهجوم الإرتيابي الذي تعرض له من أركان عديدة، ولكن ثمة اتفاق واحد على الأقل وهو أن هابرماس رغب دوماً في مقارنة تلك الاهتمامات الفلسفية المتخصصة عبر إلزام نشط بتكريس نقاش مستنير في قضايا يعنى بها عموم الناس فيما يسمى *historikerstreit* المناظرة بين التصورات اليمينية التعديلية في الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود مثال بين لدوره ناقدًا في المجال ( السياسي الأخلاقي ) الأوسع<sup>2</sup>.

ومن ضمن المفكرين المعاصرين ربما لا يكون هناك مفكر غير تشوميسكي قام بما قام به هابرماس لدعم الموروث المحاصر بنقد منشق ينشد الحقيقة المبدئية، إنه مثال لافت خصوصاً حال مقارنته بموقف أشياع ما بعد الحداثة ( المضادين للتنوير ) الذين لا وقت لديهم لمسائل عفى عنها الزمن من قبيل ( مسؤولية المثقفين السياسية )<sup>3</sup>.

وتلك المصادر النقدية أو المحررة التي يظل بالإمكان استدراكها عبر قراءة تنبه السلبي عند أدورنو.

<sup>1</sup>- تدهوندرتش: دليل إكسفورد للفلسفة، الجزء 1 ، ترجمة : نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، ليبيا، د ط، د س، ص 978.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 979.

إن التفكير الذي قاوم بصلابة كل أفكار الفهم المنجز أو الإجماع العقلاني عند هابرماس يقوم على مثل تلك الأفكار بدور لا غنى عنه في توجيه الفكر شرط مفهوم منظم في الحقيقة عند نهاية البحث<sup>1</sup>.

لقد أعاد هابرماس صياغة الماركسية من حيث هي نظرية اجتماعية نقدية تدعو إلى إزالة القهر والاستغلال، ولهذا انتقد النظرية الاجتماعية التي تزعم أنها موضوعية ومتحررة من أحكام القيمة في كتابه "المعرفة والمصالح الإنسانية" 1968م. ثم هو يرى أن البشر في تفاعل وتواصل الأمر الذي يولد بحثاً من نوع آخر، هو العلوم التاريخية والهيرومينوطيقا، التاريخ والأنثروبولوجيا الاجتماعية والدراسات الأدبية الثقافية.<sup>2</sup>

في أعماله المتأخرة بعد عام 1970، يتبنى منظورا مختلفا نسبيا، نظرية في "الفعل الاتصالي" مستمدة أساساً من فلسفة أفعال الكلام، علم اللغة الاجتماعي وأفكار عن التضامن التحادّي التي طورها مفكرون من قبيل بول جرايس. لا ريب أن أحد الأسباب التي جعلته يلتفت إلى اللغة والخطاب إنما يتعين في الرفض الراهن السائد للبراهين "التأسيس" في مختلف صورها وأشكالها.

ثمة سبب آخر يتعين في اعتقاد هابرماس المتنامي بأن التفكير التنويري قد تعرض إلى مثل هذا النقد عبر إصرافه في الارتكان إلى براديغم وايستيمولوجية تركز على الذات، غايته إذن إعادة صياغة ذلك المشروع عبر (براجماتكس تراتسندتالية) وهو مبدأ يثق في المبدأ المنظم الخاص "بموقف- كلامي مثالي"، مجال علني من المناظر المشتركة الخالية من الإكراه، حيث يمكن لتلك القيم أن تحقق تعبيرها الكامل. وهذا عنده هو السبيل الوحيد لبر التنوير بوعوده التحررية دون أن يقع ضحية للاعتراضات الموجهة من قبل البراجماتيين مثل رتشارد روتري.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- تدهو تدرش، دليل أكسفورد للفلسفة، المرجع السابق، ص 978.

<sup>2</sup>- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2007، ص 669.

<sup>3</sup>- تدهو تدرش: دليل أكسفورد للفلسفة، المرجع السابق ص 978.

المنطلقات الفلسفية والسوسيولوجية في فكر هابرماس

أ- المنطلقات الفلسفية :

### 1. كارل ماكس Karl Marx (1818-1883) :

يعتبر كارل ماركس من المرجعيات الفلسفية المهمة في فكر هابرماس بصفة خاصة ولدى مدرسة فرانكفورت بصفة عامة، حيث أيد هابرماس أن مدرسة فرانكفورت قد أنشئت على شكل أفكار ماركسية بقوله : "إن الماركسية الأجزاء من فكر التنوير، وهو الفكر العقلاني الذي يرى أن المجتمع جزء من العالم الطبيعي".<sup>1</sup> فمن الملاحظ أن مهمة مدرسة فرانكفورت هي أنها بلورت مشروع تنويري جديد مرتبط بالماركسية التي لن تؤثر فقط على وريث المدرسة هابرماس بل عنها ككل.

يأخذ هابرماس على عاتقه المرجعيات التي أجرتها مدرسة فرانكفورت ويضيف إليها مرجعياته الخاصة.<sup>2</sup> حيث يندرج ضد الامتداد المباشر لمراجعة الماركسية التي كان قد أجراها بشكل واضح باقتراحه منذ 1968، تعويض المزدوجة وهي القوى المنتجة وعلاقات إنتاج في العقل والتفاعل.

ويوجد هنا ما تحقق تسميته بإضفاء البعد الأنثروبولوجي على المادية التاريخية.<sup>3</sup> وفي هذا السياق يحاول هابرماس التمييز بين العمل والتفاعل من خلال القوى المنتجة عن طريق طابع توصيلي وعملي لإتاحة علاقات جديدة للإنتاج.

### 2. هيغل F. Hegl :

يعتبر هيغل أحد أهم فلاسفة الألمان، ومن أهم مؤسسي فلسفة حركة المثالية الألمانية.

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 31.

<sup>2</sup>- يورغن هابرماس- بعد ماركس، ترجمة : مجد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق ، ط 1، 2002، ص 09.

<sup>3</sup>- المصدر نفسه، ص 11.

استطاع هابرماس الاستفادة من فلسفة هيغل خاصة محاضراته حيث وجد هذا الأخير ضالته في التحليل الهيجلي للذات التي اعتبرها هوية العام والمفرد. الأنا هي عام ومفرد وفي وقت واحد، فالذات عنده في علاقة تفاعل<sup>1</sup>، ويقصد هيغل من ذلك الوسيلة التي تتواصل بها الأنا مع أنا أخرى ومن خلال ذلك تتحول الاثنتين إلى ذاتين عن طريق التبادل. فالإنسان يعترف بذاته من خلال استقبال ذات الآخرين ومن هنا أهمية الحوار كتفاعل يرتكز عليه هابرماس.

### ب- المنطلقات السوسولوجية :

#### هربرت ميد Herbert Mead :

تأثر هابرماس بالكثير من علماء الاجتماع الأمريكيين ومن بينهم السوسولوجي هربرت ميد الذي أخذ عنه فكرة دور الآخر في تشكيل الأنا، إذ يعتبر Mead أن الذات تنشأ وتتطور مجتمعياً من خلال التفاعل الاجتماعي. إن الذات بالأساس بنية اجتماعية وتنشأ في التجربة الاجتماعية.<sup>2</sup> إذ يبدأ الفرد بالتعرف على ذاته من خلال آراء الآخرين فيه منذ السنوات المبكرة من حياته.

#### تالكوت بارسونز Talcott Persons (1902-1979) :

استفاد هابرماس من السوسولوجي بارسونز في معالجته لإخفاقات منهجيات التأويل، وذلك في تشخيصه للطريقة التي يفرض بها خارجيات المجتمع البنيوية كالاقتصاد والسياسة وكيف أنها تقتصر العوالم الخاصة بالفاعلين الاجتماعيين وذلك باستعمار العالم، ولا شك بأن هذا هو المهم بالنسبة لهابرماس، إذ أنه يجب نقل

<sup>1</sup>- يورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، ترجمة : حسن صقر، منشورات الجمل، ألمانيا، ط 1، 2002، ص 19.

<sup>2</sup>- علي عبود الحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة، المرجع السابق، ص 56.

الاهتمام من حيز الاعتراضات المنهجية التي يجب أن تستخدم في دراسة العالم الاجتماعي إلى الاهتمام بكيفية عمل العالم الاجتماعي.<sup>1</sup>

نرى بأن هابرماس استفاد من بارسونز في منهجيات التأويل من خلال تشخيصه، وتجلي ذلك عند هابرماس في فهمه لعلاقات العالم الاجتماعي على أنها متكونة من نظام وعالم حياة. ويجب أن ينظر إلى النظام على أنه ينبع جوهريا من عالم الحياة بمعنى ذات المجتمع هو نتاج للتفاعل الإنساني بين الذوات والعالم الخارجي على حد سواء.<sup>2</sup> ونجد هابرماس من خلال تأثره ببارسونز وصل إلى أن عالم نتاج التفاعل الإنساني بين الذوات والعالم الخارجي، وهذا ما تمسك به من خلال نظرية التواصل.

ثيودر أدورنو Thodor Adorno (1903-1969) :

له تأثير كبير على هابرماس وخاصة في فكرة التشيؤ والاعتراب اهتم بفكرة العقل الأداة ونظرية الفعل التواصلية، وهنا نلاحظ أن هابرماس تأثر بأدورنو في فكرة العقل الأداة ونظرية الفعل التواصلية. فقد وصف هابرماس أنه تلميذ لأدورنو إذا كانت المداخلة الهابرماسية الأولى يمكنها أن تفوق عند الاقتضاء بوصفها مجرد تعليقات على أقوال هذا الأخير فإنها تطورت بالفعل منظور ضمنا نقديا إزاء الأداة الأدورنية للعلوم الاجتماعية الحديثة.

ماكس فيبر Max Viber :

فيلسوف وعالم اقتصادي واجتماعي ومحامي، كان عالما ألمانيا في الاقتصاد والسياسة، واحد من مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف الديمقراطية، وعمله الأكثر شهرة هو كتاب "الأخلاق البروتستانتية" و "روح الرأسمالية" حيث أن هذا أهم أعماله المؤسسة في علم الاجتماع

<sup>1</sup> - علي عبود الحمدوي، الإشكالية السياسية للحدث، المرجع السابق، ص 56.

<sup>2</sup> - علي عبود الحمدوي، الإشكالية السياسية للحدث، المرجع السابق، الصفحة نفسها.

الديني. لقد درس ماكس فيبر جميع الأديان وكان يرى أن الأخلاق البروتستانية هي أخلاق مثالية ومنها استقى النموذج المثالي للبيروقراطية والذي تميز بالعقلانية والرشادة. ولقد خصص هابرماس لماكس فيبر أكثر من مائة صفحة في كتابه نظرية الفعل التواصلي حيث اهتم أساساً بسوسيولوجيا فيبر انطلاقاً من طرح وتحليل مسألة وصيرورة العقلانية.

### هوسرل Hoserl :

وظف هابرماس فكرة العالم المعيش في نظريته التي استقاها من هوسرل رائد الفينومينولوجيا، حيث يميز هوسرل بين نوعين من الحقائق وبين نوعين من العوالم. فهناك حقائق العالم المعيش وهناك كذلك حقائق العالم الموضوعي : فحقائق العالم المعيش حقائق تاريخية وذات علاقة بتجارب وخبرات مقرونة بسياقات ثقافية ومسالمتها قابلة للتطبيق في كل مكان. بمعنى فكرة أن العالم المعيش، تعني عالم الوجود مثلما في حياة الإنسان يومياً في محيط اجتماعي مقرون بسياق اقتصادي وثقافي.<sup>1</sup>

### مراحل فكر يورغن هابرماس :

#### • في المرحلة الأولى :

لقد انشغل بنقد شامل للفكر الوضعي الذي ساد في الغرب مع تطور ونضج النظام الرأسمالي، ومع تطور منجزات علوم الطبيعة والبحوث التطبيقية والتكنولوجيا المتقدمة استغلال هذا الفكر العقلانية حركة التنوير ونزوحها لتحقيق الحرية والعدل.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - حسن مصدق، هابرماس ومدرسة فرانكفورت - النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2005، ص 139.

<sup>2</sup> - توم بوتومور : مدرسة فرانكفورت، ترجمة : هجرس سعد، مراجعة: محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر والتوزيع، د ب، ط 2، 2004، ص 160.

• في المرحلة الثانية :

أمسى هابرماس مهتمًا بمنهج البراغماتية الأمريكية الذي وضعه ويليام جيمس William James و جون ديوي John Dewy وهربرت ميد Herbert Mead<sup>1</sup> كونها مذهب فلسفي سياسي يعتبر النجاح المعيار الوحيد للحقيقة، رابطًا بين التطبيق والنظرية. وتقوم البراغماتية على أن الأثر العلمي هو المحدد الأساسي في صدق المعرفة وصحة الاعتقاد بالحياة الاجتماعية.

• في المرحلة الثالثة :

قدم هابرماس نقداً للتكنولوجيا والعلوم والأساليب العلمية الوضعية في التفكير حيث ظل منتقداً لوجهة النظر القائلة بأن الأنواع المختلفة للمعرفة النظرية والعلمية والنقدية تتشكل في سياق أطر مختلفة وتقدم مصالح مشتركة مختلفة.<sup>2</sup>

أفكار هابرماس السياسية :

لقد تطورت آراء الفيلسوف هابرماس السياسية الخاصة للمرة الأولى عام 1945 عندما كان في 16 من عمره قرب نهاية الحرب العالمية شأنه شأن المراهقين الألمان من عمره. انضم إلى حركة شباب هتلر، كما أنه قد درس الفلسفة في شبابه في جوتنجن وزيوريغ وبون. لم يكن راديكالياً في الفترة ما بين 1949-1952 وقد انغمس في دراسة أعمال هيدغر لكن سرعان ما نقض عنه أفكاره بسبب تملصه من الحقيقة ورفض الاعتذار عن أفعاله.<sup>3</sup>

إنه بالفعل الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت كما جاء في وصف أيان كريب له. ورغم أن هناك أفكار مشتركة واضحة بينه وبين أسلافه، فإنه نحا بهذه المدرسة منحني مختلف السير.

<sup>1</sup> - جيمس جوردن فنليسون : يورجن هابرماس- مقدمة قصيرة جداً، ترجمة : أحمد محمد الروبي، مراجعة : ضياء، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، ط 1، 2015، ص 10.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 36.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 10.

و لقد أفاد كثيرا من تطور العلوم الاجتماعية والتعمق في مشكلات نظرية المعرفة وفلسفة اللغة وبعض الاتجاهات الفلسفية المعاصرة كالأنثروبولوجيا و الهيرومينوطيقا وجل هذه التيارات انعكست رأسا على عقب على تطويره لنظريته النقدية أو بمعنى أصح إعادة بلورتها وبنائها.<sup>1</sup> كان ولا يزال من بين أهم المنظرين وأوسعهم علما وانتشارا في حقبة ما بعد الحرب العالمية كونه متعدد التخصصات ومختلف المجالات.

إن هابرماس وكما أطلق عليه فيبر هو النقيض المطلق والمتخصص بلا روح، أي الأكاديمي الذي لا يتخطى التخصص الشق لخبرته الخاصة. وقد عكف على الكتابة 50 سنة. له إنتاج فكري ضخم بالإضافة إلى شهرته كمنظر اجتماعي وسياسي كونه عميد المسار الديمقراطي في ألمانيا.<sup>2</sup>

لقد درس هذا الأخير على يد أدورنو Adorno سنوات عدة، وكما سبق وأن أشرنا يعتبر بشكل عام الوريث الرئيسي المعاصر لمدرسة فرانكفورت، ولا جدل في انتماؤه إلى اليسار. إلا أنه وبشكل غير متوقع فهو ينتقد التقاليد الفكرية التي ينتمي إليها. وقد قدم نقدا جذريا للماركسية ويعود إلى العديد من أفكار بارسونز Persons.<sup>3</sup>

غير ذلك فإن هابرماس تأثر كثيرا بالأحداث التاريخية التي عاشها وكانت محركا لها لاسيما نهاية الحرب العالمية 2. وانبعث الجمهورية الألمانية الاتحادية من أظلالها الاقتصادية والاجتماعية والحرب الباردة والاحتياجات الطلابية وسقوط جدار برلين ونهاية الاتحاد السوفياتي.<sup>4</sup> وفي عام 1954 حصل على دكتوراه بأطروحة عن الفيلسوف الألماني

<sup>1</sup> - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن 20، مكتبة الإسكندرية، منشأة المعارف جلال الدين وشركائه، القاهرة، د ط، 2002، ص 47.

<sup>2</sup> - جيمس جوردن فنليسون، المرجع السابق، ص 11.

<sup>3</sup> - أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، ترجمة: محمد حسن علوم، مراجعة: محمد عصفور، ضمن مجلة عالم المعرفة، العدد 224- ص 301-306.

<sup>4</sup> - جيمس جوردن فنليسون، يورغن هابرماس- مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 10.

فريدريش فلينج، والتفت بعد ذلك إلى أعمال هاربرت ماركيز والأعمال المبتكرة لكارل ماركس.<sup>1</sup>

ويمكن الملاحظة أننا أثناء مناقشتنا للسيرة الذاتية لهذا الفيلسوف الكبير لا بد أن نرى أن هابرماس وبدون ريب يشكل امتدادا للنظرية النقدية في تطورها وصيرورتها. فليس من المنطقي الولوج إلى فكره دون الإحاطة بالأساسيات الفلسفية التي استند عليها في تكوين مساره العلمي ككل. ومهما كانت هذه الملاحظة فإن هذا الأخير اعتبر مكملا للكثير من النقائص والثغرات التي لم يتمكن جيله الأول من بلوغها.

إن هابرماس بقدر ما كان يتحاور مع النصوص الفلسفية ويناقش مقوماتها النظرية ويجادل في أبعادها التاريخية والإيديولوجية، بقدر ما كان ينصت لتفاصيل التحولات التي طرأت على التاريخ الألماني المعاصر ويواكب عملية البناء الكلي الذي اضطرت ألمانيا إلى القيام به بعدما تركته المغامرة النازية من دمار وتحطيم المجتمعات وبوجه الخصوص الذات الألمانية. لقد نضج فكر هابرماس بعد تخطي وانتهاء هذه المرحلة. فمختلف الآمال والأوهام التي واكبت عملية إعادة تأسيس مجتمع ألماني جديد فتحت أمامه مجالا واسع استدعى منه الانخراط الوجودي والنظري في التفكير التأملي حول مسألة الحداثة، سواء في منظورها الكانطي أو منظورها الفييري أو الماركسي. فالحداثة بدلالاتها الكانطية تفرض تأسيس دولة القانون مسنودة إلى ديمقراطية تتطلب من الذات المنتمية إليها نضجا فكريا وسياسيا ضروريا، أما من وجهة نظر ماكس فيير وكارل ماركس فهي تلك التي تغدو أداة في إرادة وظيفية ذات طبيعة أداتية.

<sup>1</sup> - جيمس جوردن فنليسون، يورغن هابرماس - مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 11.

## المبحث الثاني : مدرسة فرانكفورت ومكانة هابرماس فيها :

تعتبر منظومة النقد الاجتماعي أحد أهم التيارات السوسيولوجية الحديثة التي ما فتئت أن وجدت لنفسها مكانا في الساحة السوسيولوجية والفكرية الكبيرة مقارنة بنظيراتها كالوظيفية مثلا، وبالرغم من تعدد توجهاتها واختلاف تفسيراتها تبقى مدرسة فرانكفورت القلب النابض لهذا التيار بما يحمله من معنى لعملية النقد كحركة عقلية واعية تهدف إلى تحرير المجتمع من القيود الإيديولوجية الزائفة.<sup>1</sup>

ترتبط النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت أوثق ارتباط بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي الذي أسسته في سنة 1923 نخبة من الفلاسفة وعلماء الاجتماع والاقتصاد والنقد الأدبي والجمالي من أصول يهودية. ولقد حددوا وضعه وهدفه منذ البداية بحيث يكون معهدا حرا غير مقيد بالنظم الجامعية والأكاديمية يتفرع لبحث مشكلات الاشتراكية والماركسية والعنصرية وحركة العمال، مع الاعتماد بصورة عامة على المنهج الماركسي في التحليل النقدي الاجتماعي.<sup>2</sup> لقد احتضنت هذه الأخيرة جملة من المثقفين الذين لم يتبنوا أطروحات الاشتراكية ورفضوا الانضمام إلى الحزب الشيوعي الألماني بعد فشل ثورة 1918 في ألمانيا يحدوهم العزم لبلورة فحص عميق لأسس النظرية الماركسية.<sup>3</sup>

ولا يغيب عنا أن النظرية النقدية من بين أهم النظريات التي ذاع صيتها، فلا سيما أنها كانت كجهاز تنفس لزمن انقطعت فيه الحياة. انتعشت هذه التي تلت ما بعد الحداثة بألماني، حيث تبلورت في مدة مبكرة في ثلاثينيات القرن العشرين.

نحاول في هذا المبحث "مدرسة فرانكفورت ومكانة هابرماس فيها" توضيح ما الذي ترمي إليه النظرية النقدية التي لطالما انطلق منها رواد مدرسة فرانكفورت في انتقادهم

<sup>1</sup> - كزني محمد فوزي، مدرسة فرانكفورت على المحك - منظور تواصلية، ضمن مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 9-2014، ص 103.

<sup>2</sup> - عبد الغفار مكوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت - تمهيد وتعقيب نقدي، حوليات كلية الآداب، الحولية الثالثة عشر، الكويت، د ط، 1993، ص 22.

<sup>3</sup> - حسن مصدق، المرجع السابق، ص 27.

للواقعية الساذجة. فالنظرية النقدية تعني نقد النظام الهيجلي ونقد الاقتصاد السياسي والنقد الجدلي وتهدف هذه النظرية إلى بناء نظرية اجتماعية متعددة المصادر والمنطلقات كلاستعانة بالماركسية والتحليل النفسي والاعتماد على البحوث التجريبية، وإن جاز لنا القول هذه النظرية هي تجاوز كلي للنظرية الكانطية والمثالية الهيجلية والجدلية الماركسية. إذن هي نقد للواقع ونقد للمجتمع بطريقة سلبية، ويعني هذا بشكل آخر أن نقد متناقضات المجتمع ليس فعلا سلبا، بل هو فعل ايجابي في منظور مدرسة فرانكفورت.<sup>1</sup>

ولا نقف عند هذا الحدث فقط، فمن المتداول أن مدرسة فرانكفورت هي ذلك الاتجاه الذي تحقق في فرانكفورت عند قيامه بقرار من وزارة التربية الألمانية بالاتفاق مع معهد الأبحاث الاجتماعية. ويمكننا القول أيضا بأنها تيار يدعو ويؤكد تأكيدا جازما على الحدائث الفلسفية. نشير أيضا إلى أن هذه المدرسة كانت تسمية تاريخية مكانية تتحدد بالمكان الذي انبثقت منه، وتوجد مفارقة في هذه التسمية حيث اتخذت فيما بعد اسم النظرية النقدية.<sup>2</sup>

لقد جمعت هذه الحركة الفلسفية العديد من الفلاسفة مثل ماكس هوركهايمر والتر بنجامين، هربرت ماركيز، يورغن هابرماس وهو الممثل الأكثر شهرة للجيل الثاني للمدرسة وسنتطرق إلى فكره أو نظرياته بشكل مفصل فيما بعد.

لا تزال هذه الأخيرة فكريا لتقاطع العديد من المباحث الفلسفية والعلمية كعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسفة والسياسة ... وغيرها من الميادين المعرفية. إن ولادة هذه المدرسة لم تكن ولادة طبيعية بل جاءت من رحم التجديد كاستجابة<sup>3</sup> للتعقيدات

<sup>1</sup> - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 11.

<sup>2</sup> - أبو النور حمدي أبو حسن، يورغن هابرماس، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 18.

<sup>3</sup> - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 78.

التي عرفها العالم المعاصر، فرغم قرابة القرن على تأسيس هذه المدرسة إلا أنها لا تزال في الصدارة كونها تمثل نموذجا فلسفيا متمكنا من استيعاب إشكالية الثقافة والسياسة.

لقد رسخت فرانكفورت دعائمها في الفلسفة المعاصرة من خلال أمرين هما إنشاء نظرية نقدية جديدة للفرد والعالم ككل من ناحية وإرساء منهج تحليلي قادر على فهم الصعوبات والمطبات الاجتماعية، فمن أجل تخطي و حل هذه الأزمات الاجتماعية قام رواد المدرسة بإعادة قراءة تاريخ الفكر الغربي.

ابتداءً من العودة إلى كانط وفلسفته والمرور بهيجل والوقوف عند منطقه الجدلي مروراً إلى ماركس و راديكاليته وماكس فيبر وعقلانيته ومحاولة إعادة تجديد فكر كل منهم والعمل على دمج أفكارهم في نظرية جامعة لكل من هذه المنطلقات (النظرية النقدية) كتجاوز للنظريات التقليدية.<sup>1</sup> إذن هي انعطافة فكرية هامة لمسيرة الفكر الأوروبي الحديث.

من زاوية أخرى هي تجاوز للنظريات الوضعية التي ترفض التأملية الانعكاسية منهجا في التعامل مع الموضوع المرصود من جهة، ومن جهة أخرى فقد استهدفت تنوير الإنسان الملتزم تنويراً ذهنياً وفكرياً وتغييره تغييراً ايجابياً بعد أن حررته من ضغوطه الذاتية عن طريق نقد المجتمع بتعريفه ايدولوجياً.<sup>2</sup>

ظهرت أيضاً كرد فعل على المثالية الألمانية والوضعية التجريبية التي كانت تدرس الظواهر الاجتماعية دراسة علمية موضوعية من خلال ربط المسببات بالأسباب، ومن

<sup>1</sup> - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 78.

<sup>2</sup> - سعد البازعي ومبجان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، لبنان، ط 2، 2000، ص 200.

هنا فهي قراءة نقدية للعقل الجدلي<sup>1</sup> تستند أيضا في قراءاتها للآداب والفن إلى جانب النقد الماركسي أو الماركسية المعدلة في نظرية هابرماس.<sup>2</sup>

ويمكن التمييز بين فترتين في مدرسة فرانكفورت، فترة الريادة من الثلاثينيات إلى أواخر السبعينيات، وهي فترة هوركهايمر وماركيوز وأدورنو... وفترة التجديد من بداية السبعينات إلى سنوات الثمانين من القرن الماضي وهي فترة هابرماس وألفرد شميدت وكلاوس أوفي. ولقد احتفظت هذه النظرية الجديدة لما بعد الحداثة باهتمامها الخاص بفلسفة العلوم ونقد الإيديولوجيا.<sup>3</sup>

باستطاعتنا أيضا تحديد مجموعة من المراحل التي قطعتها النظرية النقدية الجديدة، فكان هناك في بداية اهتمام بنقد الوضعية العلمية معاداة الفكرة السامية، بعد ذلك انتقل الاهتمام إلى المجال الثقافي مع ماركيوز ليتم الإنصات إلى الحركات الثورية الطلابية والأقليات المضطهدة، لتتخذ النظرية النقدية توجهها جديدا مع هابرماس حيث بدأت تقدم تصورات مختلفة حول المجتمع متأرجحة بين الفلسفة والعلم.<sup>4</sup>

ضف إلى ذلك أن النظرية النقدية بمثابة تجديد نقدي للنظريات الماركسية والراديكالية، وعليه فهدف النظرية النقدية هو تغيير المجتمع على جميع المستويات والأصعدة وتحقيق التحرر البشري، والموائمة بين النظرية والممارسة والجمع بين المعرفة والغاية والتوفيق بين العقل النظري والعقل العملي والمزاوجة بين الحقيقة والقيمة.<sup>5</sup>

إن أغلب من يعرفون مدرسة فرانكفورت لا يعرفون عنها إلا اسمها وفي أحسن الأحوال بعض أعلامها أو بعض الشذرات المفككة من أفكارها، والحال أنها حظيت ومازالت تحظى بفضل قدرتها الفائقة على تحليل الفكر والواقع ونقدهما بعيدا عن كل

<sup>1</sup> - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 205.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 209.

<sup>3</sup> - ألن هاو، النظرية النقدية - مدرسة فرانكفورت، ترجمة: ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط 1، 2010، ص 45.

<sup>4</sup> - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 209.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 13.

الأغلال الإيديولوجية وبعيدا عن كل دغمائية عمياء. أي أنها تسعى إلى الكشف عن الوعي المزيف.

هناك العديد من الاستفهامات التي يمكن أن نجد لها حول النظرية النقدية، لكن ما يثيرنا هنا، هو الوقوف عند أهم المرتكزات الفكرية والانشغالات الفلسفية التي تميز بها فلاسفة هذه الفترة ومدى تأثير هذه الانشغالات على التطور الخصوصي ليورغن هابرماس.<sup>1</sup>

### يورغن هابرماس وبعض التغيرات التي أسهم فيها :

يرى الدارسين أن هابرماس يشكل امتدادا لمدرسة فرانكفورت، أو بصورة أخرى هو الممثل الحالي للنظرية النقدية الاجتماعية<sup>2</sup> التي يعمل منذ أكثر من ثلاثين عاما على بلورتها وتطويرها والتوسع فيها وتحويلها إلى فلسفة واعية وعملية للتحرر والتواصل<sup>3</sup>، غير أن البعض في سياق تأريخهم للنظرية النقدية لا يدمجون هابرماس في تاريخ أفكارها بقدر ما يرون أنه يحتل موقعا خاصا به لا يلتقي فيه مع رواد هذه النظرية.<sup>4</sup>

لقد أفاد هابرماس كثيرا من تطور العلوم الاجتماعية وتعمق في مشكلات نظرية المعرفة وفلسفة اللغة وبعض اتجاهات الفلسفة المعاصرة، وقد انعكست كل هذه التيارات على تطويره للنظرية النقدية أو بمعنى أصح إعادة بنائها<sup>5</sup> طالما أعتبر أهم المنظرين وأوسعهم انتشارا في حقبة ما بعد الحرب العالمية<sup>6</sup>. غير ذلك نجده تأثر كثيرا بالأحداث التاريخية التي عاشها، ولا سيما أنها كانت في فترة نهاية حرب عالمية الثانية وانبعاث جمهورية ألمانية جديدة وظهور الاحتجاجات الطلابية ...

<sup>1</sup> - محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 15.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ص 15.

<sup>3</sup> - عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 90.

<sup>4</sup> - محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 16.

<sup>5</sup> - عطيات أبو سعود، الحصاد الفلسفي للقرن 20، المرجع السابق، ص 47.

<sup>6</sup> - جيمس جوردن فنيلسون، يورغن هابرماس - مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 11.

وعلى الرغم من أن هناك الكثير من الأفكار المشتركة كما سبق وأن أشرنا بين هابرماس وأسلافه إلا أنه خطى منعرجا مختلفا كليا عما وصل إليه جيله الأول.

لقد تحرر هابرماس من التأرجح بين التفاؤل والتشاؤم وسلط جل تفكيره على تحليل الفكر والبني الاجتماعية على غرار أعمال أدورنو وهوركهايمر وماركيوز واهتمامهم الشديد بحرية الإنسان مهما كانت إمكانية وجودها على الواقع. إن انتماء هابرماس إلى اليسار ونقده لتقاليد الفكرية جعله ينتمي إلى الحركات الطلابية التي ظهرت في الستينات.

وبالعودة إلى إسهاماته ركز هابرماس جهوده التحليلية والنقدية على مفهوم العقلانية للحياة الاجتماعية التي سبق وأن عالجه بعض من أعضاء مدرسة فرانكفورت، وبشكل خاص ماركيوز الذي لاحظنا كيف جعلها من أهم خصائص المجتمع والإنسان ذي بعد الواحد في ظل النظم الرأسمالية والشمولية.<sup>1</sup>

ويمكن ملاحظة أن مناقشة هابرماس للرأسمالية الحديثة تفتقر للحماس الذي اتسم به الجيل الأول. فهو يرى أن الرأسمالية يمكن أن تنحرف فتؤدي إلى كارثة، لكنه ركز أيضا كجيله الأول على ظاهرة الهيمنة التقنية والعقل الأداتي. نرى أيضا أنه حاول أن يتناول مشكلتين من منظور أوسع، فتطرق للبحث في مسائل دقيقة في الإبستيمولوجيا وفلسفة اللغة وفي قضايا ومشكلات عينية في النظرية الاجتماعية كأهمية الحركات الاجتماعية الجديدة (للنساء، والطلاب المتمردين، وأنصار حماية البيئة وتجمعات الرفضين...) <sup>2</sup> ووضع قواعد معيارية للخطاب العملي والعقلي الحر وأخلاق الاتصال أو التواصل الصحيح <sup>3</sup>... كونه من أهم المعبرين عن الاتجاه العقلاني، حيث رأى في ذلك أن العقل الأوروبي شهد مراحل من الهبوط والصعود. فقد طور نظريته الخاصة حول العقلانية التي وضعها في كتابه التقنية والعلم كإيديولوجيا محاولة للرد على هيربرت ماركيوز.

<sup>1</sup> - عبد الغفار مكوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 91.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

لقد طور هابرماس النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت محاولاً وضع حجر أساس لنظرية نقدية تواصلية تمكن من حلول عقلانية لإعادة بناء مشروع الحداثة الذي لم يكتمل. فقد نهل في تأسيس فلسفته من التراث النقدي لفلاسفة جيله الأول، إذ تتجلى أهميته على أنه فتح الفلسفة المعاصرة على نظرية التواصل وتقدم بها سعياً منه إلى تشخيص حال العالم والمجتمع الأوروبي بشكل خاص، محاولاً تحليل الفعل ورد الفعل الذي يجعل الحياة الإنسانية محط تهديد كمحاولات تحطيم بنيات الاتصال.

لقد لاحظنا سابقاً أن فلاسفة النظرية النقدية الأولى تَخَلَوُ عن القيم الأنوارية ووجهوا نقدهم إلى العقلانية الأداة بشكل أساسي، أي أنهم تَخَلَوُ عن أي مشروع للخروج بجدل الأنوار من مأزقه. أما هابرماس فإنه ينطلق مما توقف عنده هؤلاء الفلاسفة حين حاول تأسيس مقاييس معيارية للنقد استناداً إلى مفهوم الفاعلية التواصلية، ويبدو أن أدورنو لعب دوراً أساسياً في التوجه الفلسفي لهابرماس. فإذا كانت النظرية النقدية الأولى لم تضع نظرية تواصلية، فإنها مهدت إليها بالرغم من النقد الذي وجهه هابرماس لنمطها النقدي.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 248.

المبحث الثالث : مسألة الحداثة لدى هابرماس :

يمكننا القول جليا أن الحداثة هي الانقلاب الفكري الذي وضع في الغرب على مدار القرون الأربعة المنصرمة ، إنها تلك الرؤية الجديدة المغايرة التي قامت على أنقاض الرؤية القديمة للعالم.<sup>1</sup> فالحادثة هي الحدوث من الحدث أي وجد وأصبح فهي مساوية للواقعة أي حدوث الشيء .

فالحديث هو نقض القديم ، وهذا ما جاء في بعض المعاجم الفلسفية التي يحددها هابرماس بالبداية التاريخية للحداثة وذلك بإرجاعها إلى عصر النهضة الأوروبية، إذ يرى أنها ظهرت بداية من خلال لفظ حديث و الذي استعمل لأول مرة في نهاية القرن 5 م ، وذلك بغرض تمييز الحاضر المسيحي في تلك الفترة من الماضي الروماني والوثني ليتضح بذلك مفهوم الحداثة و الذي يعبر عن وعي عصر ما يحدد نفسه بعلاقة ماضي العصور القديمة و بفهم ذاته نتيجة انتقال القديم إلى الحديث.<sup>2</sup>

إن الحداثة لدى بعض المفكرين ليست بمفهوم اجتماعي أو تاريخي أو سياسي وإنما هي نمط حضاري يتميز ويتعارض مع التقاليد ، وعند بعض الأخر - الحداثة - ليست نظريات أو قوانين خاصة وإنما هنالك ملامح عامة تدعو إلى التجديد و التغيير في مقابل التقليد و المحافظة.<sup>3</sup>

لقد نشأت الحداثة بعد أن تخلى الفكر الفلسفي عن الإرث الإقطاعي وموروثاته و أفكاره الغيبية الرجعية من خلال اشراقتين رئيسيتين ، الاشراقة الأولى حصلت في القرن 16م أو ما يطلق عليها عصر النهضة و الإصلاح ، والثانية حصلت في القرن 17م و هو عصر الثورة العلمية الأولى، أي عصر غاليليو وديكات وكذلك سبينوزا ولايبنز.<sup>4</sup>

<sup>1</sup>- ابن منظور ، لسان العرب ، مج 2 ، دار بيروت للطباعة و النشر ، بيروت ، د ط ، 1955 ، ص 131.

<sup>2</sup>- يوغن هابرماس ، الحداثة مشروع ناقص ، ترجمة: بسام بركة ضمن مجلة الفكر العلوم الإنسانية و الحضارية، عدد 39 ، مركز الإنماء القومي العربي، لبنان ، 1996 ، ص 42 .

<sup>3</sup>- أبو النور حمدي أبو النور ، الأخلاق و التواصل ، المرجع السابق، ص 71.

<sup>4</sup>- غازي الصوراني ، نشأة الحداثة و تطورها التاريخي، مركز حيدر عبد الشافي للثقافة و التنمية، 2015، ص 40.

لقد ظهرت الحداثة إذا في القرن 19م مع الشاعر الفرنسي- شارل بودلير Charles Boudelaire (1821 – 1867) وهنا نستحضر الرأي الذي يذهب إلى أن أول من استعمل مصطلح الحداثة la modernité ، هو شاتو بريان علم 1849 و بعدها بعشر سنوات برز المصطلح مرة أخرى مع بودلير عندما اهتم بعلم الجمال و تعريفه له<sup>1</sup>. ونجدها عند أندري لالاند، هي حالة ثقافية و حضارية و مجتمعية جاءت كتعبير عن حالة المجتمعات الصناعية الغربية التي بدأت منذ القرن م19 و م20 و هي في الوقت نفسه امتداد لجهود حديثة بدأت منذ القرن م16 في أوروبا.<sup>2</sup> إذن هي التحول الحضاري الذي كان في المجتمعات الغربية.

إن تشكل حركة التحديث يجعل الفكر الفلسفي حساسا اتجاه أمرين. من جهة اتجاه خسارة المادية الإنسانية التي تتطلبها العقلنة المندفعة بصورة فظة في مجتمع يحاول الاستمرار رغم ما يحتوي عليه من متناقضات طبيعية .

يستمد هابرماس من فكر هيغل الذي هو أول فيلسوف يرجع الفضل إليه في تحديد مفهوم الحداثة بوضوح و الكشف عن العلاقة بين الحداثة و العقلانية ، فقد كانت العقلانية من أهم ميزات الحداثة بحيث استخدم هيغل مفهوم الحداثة في سياق تاريخي ليشير إلى الأزمنة الجديدة أو الأزمنة الحديثة<sup>3</sup>. فالحداثة و عي لعصر- جديد مغاير كليا و تعتبر من سمات التحول.

يحصّر- لنا هابرماس البداية التاريخية لظهور الحداثة و يرجعها إلى عصر- النهضة الأوروبية، مما يمنحها الدلالة التاريخية و الاجتماعية و السياسية ، فيرى أنها قد ظهرت

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس ، المرجع السابق ، ص 252 – 254 .

<sup>2</sup>- Ander lalandse – vocabulaire technique et étrique de la philosophie , presse un sursitaire da la france2 , réédition paris , 1998 – p640 .

<sup>3</sup>- يورغن هابرماس ، الفلسفة الألمانية و التصوف اليهودي ، ترجمة : نظر الجاهل ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط 1، 1995، ص 24 .

بداية من خلال لفظ حديث و التي استعملت لأول مرة نهاية القرن 5م ، وقد اعتبرت الفكر الغربي منذ أواخر القرن 18م ، أن الحداثة موضوعا فلسفيا<sup>1</sup>.

ونستطيع القول أيضا أن الحداثة كما قال هابرماس "وعي بمرحلة تاريخية تقييم بدورها علاقة مع الماضي من أجل أن تستوعب نفسها باعتبارها نتيجة لنوع من الانتقال أو العبور من الماضي للحاضر". ومن خلال ذلك إن الحداثة هي الوعي من خلال المرحلة التاريخية التي ترتبط بالماضي، فهي مرحلة الانتقال من الماضي إلى الحاضر.

لقد انطلق هابرماس من سد الثغرات الموجودة في النظرية النقدية و الدفاع عن العقل من السيطرة ، ومن أجل هذا وجد نفسه في مواجهة مع مشكلات الحداثة وما آل إليه الحديث و كذلك مواجهة التيارات الفلسفية المضادة للحداثة و تيارات ما بعد الحداثة و نزعتها التفكيكية للعقل ، فكان رافعا لشعار "إن الحداثة مشروع لم يكتمل بعد"<sup>2</sup>.

إذ نجد أن الأسلوب الذي انتهج في كتاباته و حواراته و حتى في أحاديثه قد اشتغل فيه بقضية الحداثة ، وهو هنا يعود بدوره إلى ماكس فيبر الذي يعتبر مرجعا أساسيا للحداثة . فالبنيات الاجتماعية الجديدة في زمن الحداثة تتميز باختلاف نسقين تبلورا حول مركزين لهما قدرة كبير على التنظيم هما المبادرة الرأسمالية و الجهاز البيروقراطي<sup>3</sup>. ويحاول هابرماس تطوير مشروع الحداثة لأنه يعتبر الجدل العقلي و العلاج للمجتمعات يكمن في الحق والعدل و الحرية، فهو يدعو إلى المزيد من المناقشة العقلية للتقييم و المعايير ولذلك نجده يرجع إلى كانط و يستخدم اتجاهاته في العقل ، ويؤكد على أن

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن ، الأخلاق و التواصل ، المرجع السابق ، ص 80 .

<sup>2</sup>- عطيات أبو السعود ، نظرية الفعل التواصلية عند هابرماس ، تأليف جماعي ، تحرير: أحمد عبد الحلیم عطية، ضمن مجلة أوراق فلسفية ، القاهرة، العدد 10 ، 2014 ، ص 315.

<sup>3</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق و التواصل ، المرجع السابق ، ص 80 ..

المجتمعات الرأسمالية يتم فيها الحد من دور العقل.<sup>1</sup> لذا فغالبا ما نجده يعود بنا إلى كانط و يستعمل اتجاهاته في العقل.<sup>2</sup>

وكما يرى هيجل فإن الحداثة هي وعي لعالم حديث يقطع كل العلاقات بالماضي ، إذا تعتبر محطة تحويل و تغيير .

ويرى هابرماس أن الأحداث التاريخية التي فرضت مبدأ الذاتية عند هيجل تتمثل في الإصلاح reforme والأنوار و الثورة الفرنسية ، ومن هنا فإن هذا المبدأ يبدو جد حاسما بالنسبة لكل أشكال الثقافة الحديثة سواء تعلق الأمر بالموضوعي أو بالتصورات الأخلاقية، وبمعنى آخر إن الحداثة جعلت من الحياة الدينية و الدولة و المجتمع و العلم و الأخلاق و الفن تجسيدات مختلفة لمبدأ الذاتية.<sup>3</sup>

وعلى الرغم من أن هابرماس يعتبر أن في المفهوم الكانطي لعقل صوري و متميز في ذاته يوجد نسيج نظرية للحداثة ، وبما أن كانط عبر عن العالم الحديث في شكل بناء فكري ضخم لدرجة أنه تمكن من ملامسة الخطوط الجوهرية لمرحلة بدون أن يفهم الحداثة في ذاتها.<sup>4</sup>

ويحاول هابرماس جاهدا تطوير مشروع الحداثة لأنه يعتبر الجدل العقلي و العلاج للمجتمعات موجود في الحق و العدل ، فهو يدعو إلى المزيد من المناقشة العقلية للقيم و المعايير.<sup>5</sup> ويمكننا القول أيضا بأن الحداثة كما جاءت في قوله : هي الوعي بالمرحلة التاريخية التي تقيم العلاقة مع الماضي من أجل أن تفهم ذاتها باعتبارها نتيجة لنوع من الانتقال أو العبور من الماضي للحاضر.

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن ، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق ، ص 80 .

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 80 .

<sup>3</sup>- محمد نور الدين أفاية ، الحداثة و التواصل ، المرجع السابق ، ص 127 .

<sup>4</sup>- المرجع السابق ، ص 127 .

<sup>5</sup>- هابرماس القول الفلسفي للحداثة ، ترجمة : فاطمة جيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د ط، د س، ص 8.

ويرى أيضا أن الباحث عن مقدمات الخطاب الفلسفي للحدثاء عليه بالعودة إلى هيغل وذلك لفهم الدلالة التي كانت تمتلكها العلاقة الداخلية بين الحدثاء و العقلنة وهذا الأمر أصبح بديهي مع ماكس فيبر ، وهنا يبرر هابرماس سبب قوله بالرجوع إلى هيغل كونه أول فيلسوف طور بشكل واضح مفهوم الحدثاء<sup>1</sup>.

وقبل أن نتطرق للحديث عن موقف هامرماس من فلسفة ما بعد الحدثاء تمهيدا لتحليل موقفه الفلسفي المعبر عنه في "أن الحدثاء مشروع لم يكتمل بعد". كان علينا أن نتوقف عند مفهوم ما بعد الحدثاء post-moderne في الثمانينات من القرن 20م ظهرت في بريطانيا مدرسة في علم الاجتماع شبه متكاملة تسمى مدرسة ما بعد الحدثاء<sup>2</sup>.

وقد استقى الفلاسفة ما بعد الحدثاء آرائهم من منبعين أساسيين مثلوا بحق الأساس و المنهل الرئيسي لهؤلاء الفلاسفة وهم نيتشه وهيدغر ، فقد انتقد نيتشه عبادة العقل التي تدور على توهم أن العقل قادر على معرفة الحقيقة و الوجود في حين يشير هيدغر إلى أن الحدثاء قد نسيت أن تسأل عن الوجود وأكد أيضا على ضياع الإنسان حيث أصبح بلا مأوى وعن النزعة الإنسانية من حيث هي السبب الرئيسي للدمار والحروب<sup>3</sup>.

إن نقد مشروع الحدثاء لم يتوقف عند محاولة تجاوزه تجاوزا مطلقا بل نحد عدة تيارات تنتقده و تحاول إظهار سلبياته ، حيث جمع هابرماس هذه التيارات تحت اسم المحافظة و ربطها بخيبة الأمل.

وهنا نجد أن هابرماس قد ميز بين ثلاث نزعات تعارض الحدثاء :

- نزعة الشباب المحافظين وقد عاشوا تجربة الحدثاء الجمالية وهي مظهر من مظاهر الذاتية.

<sup>1</sup> - أبو النور حمدي أبو النور ، الأخلاق و التواصل ، المرجع السابق ، ص 82 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 88.

<sup>3</sup> - مراد وهبة ، ما بعد الحدثاء ، ضمن مجلة إبداع ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، العدد 11 ، 1992 ، ص 41-42.

- نزعة المحافظين الجدد فهم ينتهجون بتطور العلم الحديث على أن لا يخرج هذا العلم عن نطاقه إلا ليساعد على التقدم التقني.<sup>1</sup>

إن موقف هابرماس عن الحداثة هو أنها مشروع ناقص، كونها لم تحقق النتائج المرجوة فيها، حيث أنها أدت إلى جملة من الانكسارات للإنسان و لكي يكتمل هذا المشروع لابد من التخلص من التمرکزات و الانكسارات التي حصلت فيها ما مضى- و مشروعه المتمثل في العقل التواصلي ليس إلا امتداد لعصر الأنوار ، يرى بدوره أن الحداثة تفسخت بسبب اعتمادها ثوابت تتمثل في إدارة الهيمنة و التسلط و هذه الثوابت كانت دائما عقبات أمام تحقيق الحداثة.<sup>2</sup>

ويطلق هابرماس على الحداثة كلمة مشروع لأن المشكلات التي يتناولها لم تحل بعد ، إذ يأخذه الاعتقاد انه من غير المجدي تعطيل أو عكس اتجاه عملية التحديث الجارية ولأنه لم يعتقد أيضا أن البدائل المطروحة للحداثة والتحديث أسوء.<sup>3</sup>

فالحداثة لدى هابرماس تجدد نفسها بنفسها وتعمل على ذلك من خلال بلوغ تعبير موضوعي والذي يدل على التجديد الذي يتجاوز تجدد الطراز القديم و يلغيه إلغاء كليا ، و يصبح ما يماشي الموضة فقط حين يصير ماضيا و يحتفظ الحداثي.<sup>4</sup> ففي وجهة نظره لابد من التخلي عن مشروع الحداثة و المباشرة بفحص النقدي لهذا المشروع و خاصة بإظهار سلبياته و ايجابياته ، ولقد أصبحت الحداثة إذن موضوعا باليا و طاقة استنفذت تماما، فهي لن تكون مبدعة على الرقم من انتشارها.<sup>5</sup>

وللحديث عن مسألة الحداثة عند هابرماس فيلسوف الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت كان لا بد علينا من التطرق إلى المضمون المعياري للحداثة ، وهذا ما قمنا به و

<sup>1</sup> - فتحي التريكي ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة ، مركز الإنماء القوم، بيروت ، د ط، 1992، ص 11.

<sup>2</sup> - مجد نور الدين أفاية ، الحداثة و التواصل ، المرجع السابق، ص66.

<sup>3</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق و التواصل ، المرجع السابق ، ص 121.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه ، ص 122 .

<sup>5</sup> - المرجع نفسه ، ص 129 .

حتى يتوضح معنى هذه الأخيرة كان يجب أن نتعرف على موقف هابرماس من ما بعد الحداثة، فأدرجنا كانط وهيدغر ونيتشه وموقف هابرماس منه، وقد ختمنا هذا المبحث بقول هابرماس أن الحداثة لم تكتمل بعد، فهي مشروع ناقص ولم ينجز.

ويبدو أن هابرماس من خلال كل أعماله وكتاباته ولا سيما من منطلق اهتمامه بمسألة الحداثة في تمفصلها مع التواصل، يريد أن يجزم على ما يسميه بـ"العقل التواصلي" كصيغة تركيبية لقضية الحداثة الغربية والعقلانية، سواء هي تعبيرها الأنواري و في مظهرها النقدي. لذلك أكد على أن فلسفة الوعي أو فلسفة الذات استنفذت كل طاقاتها و يتعين جراء ذلك إدخال مسألة التفاهم و التواصل لتنشيط الفكر الفلسفي في اللغة و الزمن و الحداثة و العقل.<sup>1</sup>

ولا يسعى هابرماس إلى تشييد نسق فلسفي على الطريقة الهجلية أو الماركسية لأنه بالرغم من رغبته في تأسيس مشروع فلسفي للحداثة فإنه بكل من النقد مطلباً فكرياً ضرورياً ، و عبر أكثر من مرة عن تحفظه المبدئي من كل نزوع نسقي له سمات الانغلاق و ميولات الاستقطاب ، لذلك اعتبر أن لحقيقة ليست رهانا فرديا في زمنية المجتمع الحديث ولا يمكن أن يكون نتاج اجتهاد عقلي متعالى لفيلسوف بعيد عن حركة التاريخ ، إن تأكيد هابرماس على الاتفاق و التوافق و الإجماع و التفاعل هو تأكيد استلهمه من الاحتكاك المباشر بالمناقشات الفكرية و السياسية داخل المجال العمومي الحديث.<sup>2</sup>

وهكذا وفي سياق اقتراحه لنظريته في المجتمع و انطلاقا مما سبق يمكننا القول بأن هابرماس أولى كافة اهتمامه و تفكيره لمشروعه الفلسفي و ركز على أربعة قضايا مركزية بحيث عمل على بلورتها وصياغتها في شكل أربع نظريات وهي :

أولا : نظرية العقلنة في شكل العقلنة تواصلية .

<sup>1</sup> - مجد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 210 .

<sup>2</sup> - المرجع نفسه ، ص 218.

ثانيا: نظرية النشاط التواصلي حيث حاول صياغة نمط للبرهنة يتعلق بالنشاط الموجه نحو التفاهم.

ثالثا: نظرية للحدثة مؤكدا من خلالها على إمكانية تطوير نظرية متميزة اعتمادا على نظرية التواصل لتحليل الظواهر السوسيو مرضية التي أفرزها المجتمع الحديث ، لذلك اضطر هابرماس رابعا إلى تطوير مفهوم للمجتمع يجمع نظريات الممارسة و الأنظمة .

وهذه بشكل مركز أهم مفاصل المشروع الهابرماسي و هي مفاصل تسمح لنا بالملاحظة أن مسألتي الحدثة و التواصل تشكلان النواة النظرية التأسيسية في هذا المشروع ، بما يقتضي كل حديث عن الحدثة من عقلنة ، وبما يفترض كل تناول للتواصل من تفكير فيما هو مجتمعي لذلك فإن العقل التواصلي متشاك بالضرورة مع المقومات المعيارية للحدثة .

أحدث هابرماس ضجة بالكلمة التي ألقاها عام 1980 بمناسبة حصوله على جائزة أدورنو وكانت معونة ب "الحدثة مشروع غير مكتمل" وكانت هذه الجملة مثيرة لردود فعل غاضبة، لأنها هابرماس سبح التيار الفكري لحركة ما بعد الحدثة.<sup>1</sup> "فالحركة الفكرية الحداثية في تصور هابرماس لم تبلغ بعد منتهاها، بل إن بعض نقائصها جعلت منتقديها يكثرون الاعتقاد بالأفكار المضادة لها. كما أن البيئة التي نشأت فيها الحدثة لا تستطيع الانصياع لشموليتها" ، وهذا يعني أن المركزية وعمومية المعايير التي أنتجتها الحدثة في مجتمع غربي معقد ومتعدد الثقافات ولا يمكن إدارته من خلال مركز أو سلطة واحدة، بمعنى أن الحدثة مشروع لم ينجز بعد وعلى هابرماس أن يقدم حلا لهاته الأزمة.<sup>2</sup> ووجته

<sup>1</sup> - جيمس جوردن فينلسون، يورغن هابرماس، مقدمة قصيرة جدا، المرجع السابق، ص 79.

<sup>2</sup> - مجد جديدي. روتي بين هابرماس وليوتار، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 124، 2008، ص 143.

في هذا أن المشروع لن يفشل كون الحادثة لم تنتهي بعد وحتى تكتمل عليها التخلص من التمرکزات والانكسارات التي حصلت سابقاً.<sup>1</sup>

ويرى هابرماس بأن الحادثة تفسحت بسبب اعتمادها على ثوابت تتمثل في الهيمنة والتسلط، وهذه الثوابت كانت دائماً عقبات أمام تحقيق مشروع الحادثة، فهو لا يعني بفكرته التي مضمونها "الحادثة مشروع لم يكتمل" الإشارة على نقصانها وعدم اكتمالها ولا يعني إخفاقها أو إظهار عيوبها، فقد كان مراده الدفاع عنها لأنها مازالت تحافظ على حيوتها ولم تتوقف ولم تستنفذ.<sup>2</sup>

<sup>1</sup>- أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، المرجع السابق، ص 347.

<sup>2</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 126.

## المبحث الرابع : الإتيقا في مفهوم هابرماس :

إن مفهوم الإتيقا بما هو بحث في التأصيل الفلسفي واستكشاف لعلوم الإنسان المتعلقة بالقيم السلوكية مفهوم قديم يمتد بجذوره إلى أفلاطون وأرسطو وكانط وسبينوزا ونيشيه ، ولكن الذي تغير هو طبيعة المقاربة المعاصرة لهذه المسألة جراء التركمات المعرفية و التعقيدات البنيوية التي عرفتها المجتمعات المعاصرة والتي ترفض كل إتيقا باسم الإتيقا ذاتها ، لذا فإن هذه الأخيرة تبدو وكأن مجال اهتمامها هو الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقتنا مع الآخرين في الوقت الذي تحتفظ فيه الأخلاق بمهمتها التاريخية البدائية وهي وضع المبادئ موضع التطبيق و الممارسة وإذا كانت الأخلاق بالمفهوم الكانطي قد حافظت على وحدتها البنيوية عبر التاريخ لمعيارية ما تدعوا إليه ، حتى لا نقول لتجرده و بعده عن التطبيقات الواقعية ، فإن الإتيقا قد تشذرت إلى إتيقات بفضل التصدعات التي ضربت البنية الرسوبية للمجتمعات المعاصرة و بالإضافة إلى اهتمام الإتيقا بالانقلابات الاجتماعية التي تضرب العالم طولا و عرضا سواء ما تعلق منها بالفرد أم بالمجتمع كالتحرر الجنسي- ، العدالة ، الممارسة السياسية ، الحركات النسوية إلى غيرها من الانشغالات الأخرى .

وهناك مسألة في غاية الأهمية أشار إليها هابرماس في نقاشه مع محاوريه وهي طغيان النزعة العلمية أو العلموية على مجمل مناحي الحياة المعاصرة.<sup>1</sup> ما أفرز مطارحات تقوم جلها حول مخاطر التطور العلمي على الطبيعة أو المحيط وعلى الإنسان ذاته ، وهي القضية التي كان الفيلسوف ميشل سار michel serres سباقا في طرحها في كتابه الشهيرة "العقد الطبيعي" <sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- يورغن هابرماس ، إتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة ، ترجمة : عمر مهيبيل، الدار العربية للعلوم الناشر من منشورات الاختلاف، د ب، ط 1، 2010، ص 7 .

<sup>2</sup>- mlchel Serres – les contral social –ed- francois burtrin , paris ,1990, p 86.

أما النقطة الثالثة هنا فهي العلاقة الجدلية القائمة بين مفهوم الإتيقا و مفهوم التواصل الذي يعد هو أيضا من المفاهيم المفتاحية لفهم المجتمع المعاصر ، حيث يتعذر فهم أحدهما فهما حقيقيا دون العودة إلى الآخر.<sup>1</sup>

فإن كان يان باتوكا yan patocka قد أشار إلى أن الإنسان كائن إيتيقي فالناس ليسو هم من ابتدعوا الإتيقا بل إن الإتيقا هي من تحدد كينونة الإنسان خاصة تلك المتعلقة بحقائقه الوجودية الأبدية كالموت و العدم ، فإن هابرماس يعتقد بأن الإنسان كائن إيتيقي تواصلبي انطلاقا من أن التواصل بمختلف تجلياته المادية و الدلالية هو رمز دال من رموز المرحلة المعاصرة و يكفي أن العالم المادي ذاته صار قرية صغيرة ، فكيف إذا تعلق الأمر بما هو نظري و قابل للتجريد ، وذلك أن مفهوم التواصل يلامس حقولا معرفية متعددة كالسيوسولوجيا ، الأنثروبولوجيا ، والسيميائيات ، التداولية ، الألسنية ، النظرية النقدية و مبحثها إلهام إتيقا المناقشة و الواضح تماما أن الخيط السحري الرابط بين كل هذه الحقول هو اللغة ، فبأي معنى إذن نتحدث عن دور اللغة في هذا المجال ؟ وما هي هذه الوظيفة التواصلية المفترضة للغة ؟ وكيف يصبح التواصل في نهاية المطاف تواصلًا إتيقيا؟.

لقد حاول كارل أوتو آبل في كتابه "إتيقا المناقشة" أن يضع لنا خارطة طريق لما يمكن أن نسميه نظرية إتيقية ترنستدنتالية يمكن لكل مسكون بالبحث في مجال القيم و المعايير أن يسترشد بها ، وهكذا فقد وضع مجموعة متطلبات رأى بأن الهيكل العامة لإتيقا المناقشة لا تستوفي شروطها ، بل إنها لم تتطرف إليها بتاتا من بينها :

أ. ضرورة توفر إتيقا خاصة بالحياة السعيدة إذ و بالرغم من أن إتيقا من هذا القبيل لا بد و أنها ستحتضر-روح أرسطوا أماننا ، إلا أنها مع ذلك تبقى مكملة لا يمكننا الاستغناء عنها في أي توجه غائي أو مسعى لبناء تأسيس نهائي عقلي .

<sup>1</sup> يورغن هابرماس ، إتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة ، المصدر السابق، ص 8.

ب. على إتيقا المناقشة أن تسعى حثيثا لتأسيس ما يسميه آبل بالحياة الإتيقية الجوهرية *vie éthique substantielle* خاصة بالجماعات الإنسانية المختلفة بما هي أيضا مكون مكمل و مرتبط بالجهود الإتيقية عامة، علما أن هيجل كان أول من أشار إلى هذه المسألة<sup>1</sup>.

ج. على إتيقا المنافسة أن تنظر إلى مسألة النفعية *utilitarisme* بما هي أيضا مسألة مكملة و مرتبطة ببرنامج الإتيقا المرسوم بشكل قبلي كما هي الحال مثلا لما يسميه آبل اقتصاد الحياة السعيدة ، بما يجعل الإتيقا بكل حمولتها القيمة و المعيارية متفتحة على أبواب الاقتصاد الأرقام و الحسابات لأن التدخلات المعاصرة جعلت الإنسان ذاته كتلة هجينة من التناقضات و التجاذبات .

د. على إتيقا المناقشة أن تقر بأن اللجوء إلى مؤثرات أخلاقية مصطنعة يعني ولوج مجال يتناقض مع وضعها الخاص ، فمفاهيم مثل الشفقة ، التعاطف ، الحب ، الكرم ، لا يمكن النظر إليها بوصفها مبادئ بديلة لإرساء أخلاق معينة مع ذلك فإنه يمكن النظر إليها على أنها مصادر محفزة ضرورية في مستوى الممارسة التجريبية<sup>2</sup>.

في سياق ذي صلة يرى هابرماس أن الأخلاق لن يكون مصدرها الدين أو الميتافيزيقا ، بل هي نتاج لحوار مؤسس على افتراضات و تواصلية مسبقة تضفي عليها الصفة الشرعية<sup>3</sup> ، ففي عالم التفاعلات الاجتماعية تمنح لنا إمكانية تطوير هويتنا الثقافية والحفاظ عليها، هاته الثقافة *culture* التي يصفها هابرماس بـ "مال أو رأسمال المعرفة" أين يستخرج مشاركي الاتصالات تفسيراتهم عندما يجتهدون في التبليغ أو التسميع على شيء ما<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، المصدر السابق ، ص 10 .

<sup>2</sup> - المصدر السابق ، ص 11 .

<sup>3</sup> - محمد عبد السلام الأشهب ، فلسفة الحق في نظرية الفعل التواصلية - من الشموليات إلى السرديات الصغرى ، كتاب جماعي تحرير : علي عبود الحمداوي - مراجعة : إسماعيل مهناة ، دار ابن النديم، د ب، ط1، 2012، ص 239.

<sup>4</sup> - Jürgen Habermas – la pensée post métaphysique –p97.

فهو إذا ( التواصل ) نشاط يساهم في تفاعل الذات مع بعضها أي تفاعل الذوات فيما بينها ، وتفاعل العقل مع الواقعة، فالذي يصبوا إليه هابرماس ليس عقلا ترنستداليا يعيش خارج التاريخ وإنما العقل الاجتماعي يساهم في تقريب وجهات النظر عبر الإقناع و الاجتماع consensus و التواصل . لأنه وأثناء الفعل التواصلية تغيب الذاتية الترستدالية transcendental لتفتح المجال للتفاعلية الاجتماعية القائمة على الذوات والاعتراف المتبادل و من ثم البحث عن أرضية مشتركة نتفق عليها .

### مستويات إتيقا النقاش :

تتجلى إتيقا المناقشة في مستويين محددتين :

**الأول : مستوى الافتراضات الأنطولوجية ( وجودية):** وهي أننا إذا لاحظنا واقعة ما فإننا نفترض وجود عالم موضوعي و عندما نفصح عن شعور معين فإننا نفترض وجود عالم ذاتي خاص بنا ، وإذا راعينا معيارا ما فإنني بالتأكيد افترض وجود عالم اجتماعي يجب مراعاته بهذه المعايير .

**الثاني : مستوى الافتراضات الإكسيولوجية ( القيمة):** وهو مستوى أكثر شمولاً يعتمد على ممارسة التأمل اتجاه التناقضات الأداتية أو التداولية. وينتج عن ذلك التأمل الافتراضات القيمة من الصدق المعاكس للكذب و الحقيقة المعاكسة للريبةية أو الشكية و الصحة و معاكستها للخطأ وتلك القيم يجب أن يؤسس لها حسب آفاقها الخاصة بنوع من القبلية بمعية الافتراضات الأنطولوجية في المستوى الأول.<sup>1</sup>

وفي العودة لإتيقا النقاش و ما تعينه "من شروط الشكلية التي لا يمكن التفكير في ممارسة النقد بدونها علاوة على الافتراضات المتعلقة بمظاهر العالم و بالمزاعم المميزة

<sup>1</sup> - جان مارك فيري ، فلسفة التواصل ، ترجمة و تقديم : عمر مهيب ، الدار العربية للعلوم و منشورات الاختلاف و المركز الثقافي العربي، لبنان ، ط 1، 2006 - ص 71-72.

للصلاحية<sup>1</sup> و نستطيع أن نوجز ادعاءات صلاحية هذه منظومة إيتقا النقاش و المنبثقة عن دمج المستويين السابقين بالاتي :

1. أول هذه الافتراضات هو "المعقولية" و التي تعتمد على انجاز جملة مركبة تركيبيا صحيحا باحترامها قواعد اللغة المستخدمة ، وهذا الافتراض لا يتعلق بأي ادعاء سابق للصلاحية ، كما مع الصدق و الصحة و الحقيقة .

2. يتعلق الافتراض الثاني بـ "الحقيقة" المتضمنة في القول و هنا يجب أن نشير إلى واقعة موجودة في العالم الموضوعي، وذلك معنى الأقوال التقريرية.

3. الافتراض الثالث هو "الصحة" و هو خضوع التلفظ البنذاتي إلى معايير منتجة من قبل المجتمع بإجماع سابق معترف به و شرعي .

4. الافتراض الرابع هو "الصدق" و هو ما يسمح به للتعبير عن نوايا المتكلم و بطريقة صادقة و بعيدة عن التضليل و الكذب و السفسطة.<sup>2</sup>

وذلك يقتضي- عدم الشك في إخلاص الذوات المهمة بموضوع المناقشة إذ يرى هابرماس أن هذه الإدعاءات هي ملازمة لفعلنا الخطابي كما تلفظنا داخل عملية تواصلية ، "فهي ادعاءات تحضر بصورة ضمنية في تفاعلنا اليومي (فنحن) نطرح في كل تواصل لغوي أربعة ادعاءات شرعية إما مفردة أو مجتمعة . أولها أن ما نقوله يمكن فهمه و ثانيها أن تقوله حقيقي و ثالثها أن ما تقوله صائب أو صحيح و رابعها أن ما تقوله تعبير صادق عن مشاعرنا"<sup>3</sup>.

كما يرى البعض أن هذه المبادئ لإيتقا النقاش تشابه الطموح الذي سعى إليه كانط في ثلاثيته النقدية (نقد العقل المجرد و نقد العقل العملي و نقد ملكة الحكم ) وذلك الطموح ينعكس عند هابرماس في ما يقدمه من نموذج يهدف إلى الوصول إلى حقيقة

<sup>1</sup>- جان مارك فيري، فلسفة التواصل، المرجع السابق، ص 71.

<sup>2</sup>- حسن مصدق ، يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت ، المرجع السابق ، ص 146.

<sup>3</sup>- ألن هاو ، النظرية النقدية مدرسة فرانكفورت، ترجمة : ثائر ديب ، مركز القومي للترجمة، القاهرة ، ط 1، ص 231.

المعارف ، وعدالة التصرفات و الأفعال و التعبير الحقيقي عن الذات في صدقها .<sup>1</sup> وهذا التقارب وإن كان فيه وجه من الصحة إلا انه لا يطابق مقولة هابرماس في مطامح إتيقا النقاش .

لقد وجد هابرماس في إتيقا النقاش القدرات العامة و القبلية المطلوبة لأداء ناجح لأفعال الكلام في الممارسة التواصلية و ذلك الفاعلين بأساس لنقد الايدولوجيا و الهيمنات التي قد تتبع عنها ، ومنه تعين التواصل بالتشويه .<sup>2</sup> والحقيقة أن هذه الافتراضات أو الادعاءات لصلاحيه الحوار و عبر ممارسة تواصل سليم و غير مشوه ، نفترض أيضا مجتمعا مثاليا تستطيع أن تنسق الفاعلية التواصلية فيه بصورة خالية من التشويه و التحريف و الأدلجة ، وبذلك فالحوار المفترض و المقدم من هابرماس يأخذ صورة مثالية هادفة نحو إيجاد البعد النظري الأخلاقي الذي يستطيع أن يحكم البراكسيس العملي في الحياة الاجتماعية ( التواصل ) .

" إن الحوار المثالي هو مجال بينذاتي خالص و حينما لا توجد قيود أو حدود تعرقل التواصل الحاصل من الحوار المثالي ، فإن الاتفاق الجماعي العقلاني الحر يتحقق .

إن هذا الاتفاق يشكل قاعدة ضد كل ادعاءات الصدق التي يجب قياسها و هو ما أصبح حجر الأساس الذي به يمكن أن نحكم على المواقف و ادعاءات أطراف الحجاج و ما أن يحصل نوع من القهر أو الهيمنة على هذا الاتفاق فإن التواصل السليم ينتفي ."<sup>3</sup>

والفعل التواصلية يتوجه حسب هابرماس بالمعايير الناتجة من التذاوت و الجاري العمل بها نحو تكاملية في السلوك ( التفاهم) ، ويفترض الفعل التواصلية الكلام كقاعدة للصلاحيه و المشروعية ، وأن مقتضيات أو ادعاءات الصلاحيه الشاملة ( الحقيقة و

<sup>1</sup> - فرانسوا أولد، هابرماس - جدلية العقل الحديث ، تأليف جماعي ضمن كتاب المسارات الفلسفية، دب ، د ط، ص 158 .

<sup>2</sup> - غالي حسين دواجي ، الفاعلية التواصلية عند هابرماس - اللغة و المعنى، مجموعة مؤلفين، الدار العربية للعلوم و منشورات الاختلاف، لبنان، ط 1، 2010، ص 300.

<sup>3</sup> - جورج لارين، الإيديولوجيا و الهوية الثقافية ، ترجمة : فريال حسن خليفة، مكتبة المدبولي، القاهرة، ط 1، 2002، ص 50.

الصحة و الصدق و المعقولية) التي يطالب بها المشاركون في العقل التواصلي عبر التداول اللغوي ، تجعل التوافق الجماعي أو الاتفاق الاجتماعي ممكنا<sup>1</sup>.

إن السبيل إلى تحقيق هذا الاتفاق كما تبين ( اللغة التي لا يمكن من خلالها بلورة تواصل اجتماعي سليم، مادامت لا تأخذ و لا تقبل إلا بالإلزام الذي تفرضه الحجة الأقدار و الأفضل ... الأمر الذي هياً هابرماس إلى تبني فرضيات علم التداول اللغوي ليثبت أهلية الفعل التواصلي ... والمهم هنا أن فكرة التواصل تنبع من اللغة أي لغة تقدم البرهان و القناعات لا تقبل إلا بمقدار ما يقدمه البرهان.<sup>2</sup>

وهذه هي حلقة الوصل بين أخلاق نظرية تحكم سلوك التواصل و البحث في مضمون التواصل اللغوي الذي على إتيقا النقاش أن تحكمه و تحدد كيفية إنتاجه تواصلًا صحيحًا قائم على التداولية كوسيلة للتفاهم بين المتحاورين.<sup>3</sup>

### خصائص إتيقا النقاش :

يقول هابرماس : " حاولت في اطر نظرية الفعل التواصلي إرساء معقولية سلوكية مفادها أن شخصا معينًا و مهما يكن محيطه الاجتماعي و لغته و شكل حياته الثقافية ، فإنه ليس بمقدوره عدم الانخراط داخل الممارسات التواصلية و من ثمة لن يكون في مقدوره كمحلصة أن لا يبدي اهتمامًا ببعض الافتراضات التداولية التي نعتقد بأنها ذات منحنى عام<sup>4</sup> ، وتلك هي ضرورة إتيقا النقاش و صفتها فهي :

- 1- عامة و كلية و متعالية و قسرية لأي نوع من أنواع الخطاب .
2. لازمة لآليات كشف الحقيقة في العالم الموضوعي .
3. كما تشكل ضرورة لمسطرة علميات التعبير و التزام الصدق الذاتي للمتكلم .

<sup>1</sup> - يورغن هابرماس، بعد ماركس، المصدر السابق، ص 46.

<sup>2</sup> - حسن مصدق، يورغن هابرماس و مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 67 .

<sup>3</sup> - على عبود المحمداوي ، الإشكالية السياسية للحدثة، المرجع السابق، ص 207.

<sup>4</sup> - يورغن هابرماس – إتيقا المناقشة و مسألة الحقيقة، المصدر السابق ، ص 30.

4. وهي لازمة الافتراض ، إذ لا تواصل سليم بدونها .
5. وإنها ضرورية لصنع المعايير ، وإخضاعها للفحص الشامل و المتكرر .
6. تقوم على البعد اللغوي ، كأداة و مادة موضوعية لذلك فهي تبحث فيما يمكن أن تنتجه اللغة من فعل حسب ضوابطها<sup>1</sup>.

---

<sup>1</sup> علي عبود المحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة ، المرجع السابق، ص 207 .

## خلاصة :

لطالما شغل هابرماس أكبر مكانة بين فلاسفة ذلك العصر، كونه الأصيل لمدرسة "فرانكفورت" الفكرية وأبرز مدافعين عن العقل ضد كل مظاهر اللاعقلانية، مؤسساً بذلك أساساً لنظرية اجتماعية نقدية جديدة. إن مدرسة فرانكفورت تعتبر من أهم المدارس النقدية التي ساعدت بالنهوض بالنهضة العلمية الحالية، وقد جاءت بناءً على فشل الأفكار والاتجاهات السابقة في تكسير الواقع الاجتماعي بما فيه من صراعات وتوترات بنائية وفكرية.

لقد كان لهابرماس بصمة في جميع المجالات على مدرسة فرانكفورت والإشكالات التي قدمها كونه ترأس الجيل الثاني ونقده للحدثة واعتباره إياها مشروعاً لم ينجز بعد. إضافة إلى ذلك مفهومه للإتيقا وما الذي رمى إليه من خلالها.

## الفصل الثاني

### من أجل أخلاق تواصلية

- توطئة
- المبحث الأول : دور اللغة في التواصل لدى هابرماس
- المبحث الثاني :
- المبحث الثالث : النظرية التواصلية بعدسة يورغن هابرماس

توطئة :

إذا كانت الأخلاق الكانطية تنطلق من أن شعور الإنسان بواجبه صار من أخلاقيات فطر عليها وأن الأخلاق مطلقة، فإن التواصل عند هابرماس يفرض أخلاقيات عقلية ينبغي توفيرها في الحوار والمناقشة، وبهذا يمكن أن يتحقق التواصل، وعليه فإن مفهوم التواصل لديه أصبح الفاعلية الوحيدة التي بإمكانها ربط الخيوط المنفلتة لأوصال هذا العالم الذي فقد مرجعياته وتدهورت فيه الإنسانية، لذلك نجده قد ركز على الحقيقة والأخلاق.

إن كلمة التواصل تجري على السنة الكثير منا في أحاديثنا اليومية وخطابنا النقدي وبوجه خاص يورغن هابرماس فلسفة أصبحت فيما بعد واحدة من أكثر الفلسفات شهرة في الساحة الفكرية، فعرف بها وصار اسمه يقترن بها.

ولطالما أراد هابرماس الانتقال بهذه الفلسفة من العقلانية إلى ممارسة المجتمع، أي من عقلانية الفرد إلى عقلانية المجتمع، لأنه يرى أن العقلانية ينبغي أن تكون فعل المجتمع وذلك باللغة كونها أداة التواصل.

## الفصل الثاني : من أجل أخلاق تواصلية

### المبحث الأول : دور اللغة في التواصل لدى هابرماس

لقد تحدث موريس ميرلوبونتي في محاضراته في جامعة السوربون عن أهمية البحث في مشكلات اللغة، وأكد أن محور الفكر الفلسفي قد تحول لصالح هذا البحث.<sup>1</sup> فموريس قد بين أهمية اللغة من خلال البحث في مشكلاتها إذ أكد أن محور الفكر الفلسفي تحول لصالحها.

ونشير أيضا إلى الاهتمام المتزايد الذي أولاه الفلاسفة المعاصرون للغة، ليس فقط التحليليين الإنجليز من فلاسفة اللغة في جامعة أكسفورد وكمبرج، بل أيضا في التيارات الفلسفية المختلفة، خاصة لدى فلاسفة الوجودية و الهيرومينوطيقا و هيدغر و غادامير و ريكور، الذين دخل معهم هابرماس في نقاش حول العديد من القضايا بحيث نجد أن للغة دورا رئيسيا في الفلسفة ولها دور مهم خاصة في الفلسفة المعاصرة الشرط الأساسي لكل شيء يمكن أن يوجه إليه الفهم نفسه بوجه عام.<sup>2</sup> وهذا يفتح أعيننا كما يؤكد غادامير على الفهم الأنطولوجي للغة. فالوجود الذي يمكن أن يكون مفهوما هو اللغة.

ويرى فردينان دي سوسير رائد علم اللغة الحديث أن اللغة Langue هي القالب أو البنية اللغوية التي لها وجود مثالي خارج أي استعمال يومي معين. ذلك الاستعمال الذي يطلق عليه دي سوسير الكلام Parole، وهو الكتلة المهشوشة للعبارات التي لا تصلح لعلم اللغة التي هي المادة المثالية المنظمة.<sup>3</sup> فاللغة عنده هي تلك البنية اللغوية التي ينطلق من خلالها الحوار والمعاملات.

<sup>1</sup> فوزية شراد، مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الفلسفة، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010، ص 89.

<sup>2</sup> أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 145.

<sup>3</sup> عادل مصطفى، فهم الفهم - مدخل إلى الهيرومينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى غادامير، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، ص 204.

وتعد نظرية هابرماس في اللغة المعروفة باسم الفعل التواصلي بمثابة منطلق جديد للعلوم الاجتماعية. هذا المنطق يستند بدوره إلى منجزات فلسفة اللغة، ذلك بأن هابرماس يرى بأن اللغة تمكننا من إحداث قطعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم الاجتماعية المتعلقة بالوعي وبالفعل والممارسة.<sup>1</sup> إذن نلاحظ جليا أن هابرماس أراد تحويل علم الاجتماع إلى فرع من فروع علوم الاتصال لأنه يجب أن يقوم علم الاجتماع على الفعل التواصلي.

أما أفرام نعوم تشومسكي فقال في اللغة ما يلي : "من الآن فصاعدا فإن اللغة هي مجموعة متناهية من الجمل، كل جملة محدودة العناصر<sup>2</sup>، وهنا نرى بأن تشومسكي اعتبر أن اللغة مجموعة من الجمل اللامتناهية وغير محدودة الأفق.

إذ نجد أن هابرماس يؤكد على أن اللغة تمثل جانبا من جوانب الواقع وأن ثمة عوامل أساسية أخرى إذ تتشكل العلة الموضوعية التي يمكن من خلالها استيعاب الأفعال الاجتماعية من اللغة والعمل والسلطة. ويفترض هذا الإخضاع للغة من خلال تضمين عناصر أخرى، نزعة واقعية نظرية يمكن في ضوئها رؤية اللغة بوصفها مرتكزة على شيء غير ذاتها.<sup>3</sup> فهو يرى أن اللغة تمثل إحدى جوانب الواقع لأنها تمثل الصلة الموضوعية التي يتم من خلالها استيعاب الأفعال.

ويؤكد هابرماس أن فلسفة اللغة تعد الأساس الذي بنى عليه نظريته في الفعل التواصلي ويتضح ذلك بجلاء من خلال قوله : "أنا مدين لكل من النزاعات التداولية التحليلية للنظرية اللغوية، فإن غاية الفهم المتبادل مغروسة في الاتصال اللغوي".<sup>4</sup> فاللغة تشكل عنده نسقا من القواعد حيث تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من عناصر اللغة، ومن ثم فإن الذوات القادرة على استعمال

<sup>1</sup> - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي في القرن العشرين، المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> - فوزية شراد، مذكرة فلسفة اللغة عند هابرماس، المرجع السابق، ص 92.

<sup>3</sup> - أبو النور حمدي أبو النور الحسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 176.

<sup>4</sup> - الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة - نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 2005، ص 211.

هذه التعبيرات تشارك في عملية التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عليها.<sup>1</sup> فاللغة تتشكل إذن من خلال التفاعل بين الذوات والحديث بين المشاركين في التفاعل الذي يربطهم ببعضهم البعض لذلك ترتبط نظرية التواصل عنده باللغة من خلال أفعال الكلام.

ويشير أيضا إلى أهمية اللغة في الاتصالية أو الاتصال عندما يذهب بالقول بأن الأفعال الاتصالية ممكن أن يتم فهمها بعملية دائرية يقوم بها الممثل بدور واحد. وهذا ما يؤكد على أهمية اللغة ودورها في التواصل.<sup>2</sup> لذا تعتبر اللغة وسيط التواصل يصلح للتفاهم بين أناس يرغبون في التواصل، فالعقل التواصلية يحدد نوع التفاعلات التي تنسق بواسطة أفعال لغوية<sup>3</sup>، إذن هي وسيط للتواصل.

إن اللغة تعد مساهمة مميزة من قبل هابرماس على أكثر من مستوى لأنها أولا تأسست على نتائج نظرية أفعال الكلام والألسنية والتأويلية الفلسفية، ولأنها تشكل أيضا نظرية لغوية تميزت بقدرة كبيرة على التغيير الاجتماعي والسياسي والقانوني مما أمدها صبغة كلية وعالمية وهذا ما يخولها لتكون موضع مناقشة.<sup>4</sup>

لطالما كانت إسهامات هابرماس التي قدمها فيما يخص اللغة جد مميزة حيث كانت أعماله تلقى إقبالا في العالم، وعلى هذا فعلينا أن نؤكد على العلاقة بين اللغة والتواصل عند هابرماس حيث كانت فلسفة اللغة عنده من أهم الروافد الأساسية في تكوين نظرية الفعل التواصلية، فقد اهتم بأعمال اللغويين وفلاسفة اللغة<sup>5</sup> وبشكل خاص كل من جون أوستن J. Austin و جون سيرل J. searle في نظرية "أفعال الكلام"، وهي النظرية التي تنطلق مما

<sup>1</sup> عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، المرجع السابق، ص 209.

<sup>2</sup> أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 256.

<sup>3</sup> يورغن هابرماس، العلاقة بين العالم ومظاهر عقلانية الفعل، ترجمة : جورج أبو صالح، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء، بيروت، العدد 46، 1987، ص 31.

<sup>4</sup> الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 209.

<sup>5</sup> أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 148.

يسمى بفلسفة اللغة الطبيعية التي طرحها فيدجنشتاين في كتابه "بحوث فلسفية" وفي فكرته الأساسية عن "ألعاب اللغة" واستحالة الفصل بين الدلالة والتركيب.<sup>1</sup>

ولقد كانت نظرة هابرماس إلى الحياة اليومية على أنها وسيط يقوم بإعادة الوحدة المفقودة للفعل، فيقول "أن التفسيرات المعرفية والتوقعات الأخلاقية وأشكال التعبير والتقييم لا تستغني خلال التواصل اليومي عن أن تتداخل وتتفاعل وللوصول إلى فهم العالم المعيش يتطلب تراث حضاري. و يرى إذن من خلال هذا أن الحل كله يتمثل في التواصل في الحياة اليومية. و للفلسفة دورا في تحريك التفاعل بين الأبعاد المعرفية الأداتية والأخلاقية العلمية و الجمالية التعبيرية التي لا تكاد تتوقف اليوم.<sup>2</sup>

اعتبر هابرماس أن اللغة هي ممثل التواصل بين الناس و ذلك من خلال الحوار القائم على الحجة والدليل، فهو يرى بأنها الفرع الرئيسي للتواصل بين الأفراد في ظل حديث مثالي غير مشوه أو الاتصال بين الأفراد مستند إلى أدلة وحجج عقلية.<sup>3</sup> وبعبارة أخرى تصلح اللغة لتكون حلقة وصل للفهم بين ناس يرغبون في التواصل. فالعقل التواصلية يحدد نوع التفاعلات التي تنسق بواسطة أفعال لغوية<sup>4</sup>، إذن هي كسكة يمر بها الفرد ليصل إلى مستوى معين من الفهم والتواصل.

إذ تلعب اللغة دورا أساسيا في نظرية الفعل التواصلية باعتبارها الوسيط الأساسي للتواصل بين الذات وحجة هابرماس في هذا هو أن قدرتنا على التواصل لا توجد إلا في اللغة التي نتعلمها و نتحدث بها.<sup>5</sup>

إن البعد اللغوي له أهمية في تحديد ماهية الإنسان، فهو يشكل من حيث هو ذات كما يقول إميل بنفست "في اللغة و باللغة"، إذ هي وحدها التي تؤسس في حقيقة الأمر

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 148.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 149.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 131.

<sup>4</sup>- هابرماس، العلاقة بين العالم ومظاهر عقلانية الفعل، المرجع السابق، ص 31.

<sup>5</sup>- عمر مهيب، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 13.

مفهوم الأنا ضمن واقعها الذي هو واقع الوجود.<sup>1</sup> فأهمية اللغة تكمن في أن الإنسان أودع فيها كلام خاص به لجانب الكلام الآخر. فاللغة هي الوحيدة التي تشكل مفهوم الأنا أي الذات، إذ يرى هابرماس بأن اللغة هي الممثل الرئيسي للتواصل بين الأفراد في ظل حديث مثالي غير مشوه أو اتصال بين الأفراد أو النظام المستند إلى أدلة وحجج عقلية.<sup>2</sup>

و يصر هابرماس على أنه على أي شخص يقوم بعملية تواصلية هناك شروط لا غنا عنها في التواصل وذلك بهدف تحقيق التفاهم بين الأفراد. فالهدف الذي يركز عليه هو التواصل الذي يتمثل في قدرة المتحدث على الفهم المتبادل. لذلك أولى هابرماس أهمية بالغة للكلام في عملية التواصل وذلك طبعاً من خلال اللغة المستعملة بين المتفاعلين و رأى بأن الجملة يجب أن تتقيد بشروط للوصول إلى نشاط تواصلية ناجح. وعليه فقد أعطى أربعة شروط لكي يعتبر تكامل الحالة المثالية في الكلام وهذه الشروط متمثلة في المعقولية والحقيقة والدقة والمصدقية، فبوجودها يعتبر التواصل حالة مثالية للكلام.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 131.

<sup>2</sup>- المرجع نفسه، ص 151.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 262.

## المبحث الثاني: إتيقا المناقشة والحوار في فكر هابرماس

## إتيقا المناقشة والحوار:

"باستعراض النظرية الحديثة للأخلاق والتي بها اقترح برنامج للتبرير الفلسفي، فهي ليست محاولة شخصية في محتواها". من هذه الجملة بدأ هابرماس عرضه للوعي الأخلاقي والفلسفة الأخلاقية لديه والتي يحاول فيها أن يستعرض الأسس الأخلاقية<sup>1</sup>.

حسب هابرماس فإن الأخلاق التواصلية هي أساس التفاهم، بحيث يؤسس أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية تستمد بعض عناصرها من التداوليات الكلية التي تسمح بدورها بالتفكير في الأساس الذي يجعل من التلفظات وأفعال الكلام حقيقة ودقيقة<sup>2</sup>، ويبدو جليا أنه بقدر ما اهتم بإشكالية الحقيقة داخل تصوره العام لمسألة اللغة والتواصل بقدر ما حاول الاقتراب من ضوابط الحوار وأخلاقياته.

تشير الإتيقا إلى الجهد النظري المبذول لبلورة المبادئ التي تنظم علاقاتنا مع الغير، في الوقت الذي تحتفظ فيه الأخلاق -moral- بمهمتها البدائية في وضع المبادئ موضع تطبيق وممارسة<sup>3</sup>، نرى هنا أن موقف هابرماس ودوره من خلال تحديد الشروط لتحقيق حوار حقيقي من خلال تنظيم علاقاتنا مع الآخرين بحثي اعتبر المناقشة شرطا أساسيا وضروريا للحوار البينداتي.

إن إتيقا المناقشة Ethique de la Discussion تقوم على الحوار العقلاني والمحااجة والإقناع وفق الشروط التي بينها سابقا، وهو أمر مرفوق عنده بعدم دعوى امتلاك

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص245.

<sup>2</sup>- محمد نور الدين أفاية، الحدائة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، مرجع سابق، ص167.

<sup>3</sup>- زروق زينة، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مآزق الإجراء، كتاب جماعي، إشراف وتحرير سمير بلكفيف، الجزائر، د ط ، ص492.

الحقيقة دون الآخرين<sup>1</sup>، ومن ثمة لا يمكن ادعاء صلاحيته كمعيار، إن وفق حوار عقلائي قائم على الاقناع وذلك باتفاق كل الأطراف المعنيين في النقاش.

لقد انطلق هابرماس من أعمال بعض اللسانيين وفلاسفة اللغة ولا سيما "أوستين وسول وشوميسكي" لتقييم مختلف النظريات التي حاولت معالجتها أخلاقيات النقاش<sup>2</sup>، كما أنه حاول طرح مجموعة من الأسئلة التي عمل على الإجابة عنها خلال مناقشته للنظريات.

غير ذلك نجده يؤكد على ضرورة ادخال الأخلاق في التواصل بين الناس وذلك لأن النشاط التواصلية من زاوية التداوليات الصورية يساعد على إدراك الظواهر الأخلاقية داخل العالم المعيش<sup>3</sup>، وفي هذا السياق أكد هابرماس على ضرورة حضور الأخلاق بقوة في القيام بالحوار والمناقشة التي هي من أساسيات التواصل.

إن الأخلاق التواصلية تعتبر أن كل مجال له قدرته على التبرير والتفسير داخل حدود مجال خاص، وهنا يرى هابرماس أن النظرية التداولية الكونية يمكن أن تقدم عناصر هذه الوجهة من النظر باعتبار أنها نوع من التواصل يمكن أن يحدث داخلها الاعتراف المؤسس على ادعاءات الصدق والقادرة على مواقفها داخل سياق تواصلية محدد<sup>4</sup>.

يميز هابرماس بين الأخلاق النظرية والعملية التي تعتمد على قواعد شاقة وحيادية حيث لا يتمثل مشروع إتيقا التواصل حسبه في الإقرار بالحقيقة المطلقة ولا بتسويغ شيء تم اختياره، بل يتمثل في السعي وراء الوصول الى إقرار او اختيار أو تقويم من لدن متحاورين مناصفة من دون ضغط أو إكراه، إذ ليس من حق أن يفرض موقفه على الآخرين<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت - من ماكس إلى هوركهيمر إلى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم الناشر، الرباط، ط 1، 2010، ص 119.

<sup>2</sup> - حسان الباهي، الحوار والمنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، ط 1، 2004، ص 31.

<sup>3</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 262.

<sup>4</sup> - هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، مصدر سابق، ص 88.

<sup>5</sup> - زروق زينة، الفلسفة الأخلاقية، المرجع السابق، ص 492.

وفي سياق حديثه عن المناقشة بين الأخلاق النظرية والعملية يرى هابرماس أن شكل المناقشة النظرية يساعد على التجذير التدريجي وعلى التأمل الذاتي للذات الفاعلة للمعرفة، أما المناقشة العملية فهي تكشف كذلك على التجذير التدريجي وعلى التأمل الذاتي للذات المتداخلة في الفعل<sup>1</sup>، فمهما كانت طبيعة المناقشة فإنها تستند على البرهان لتكون ذات معيار كافي للتبرير على الادعاءات الخطابية.

كما يقول هابرماس لقد غدا التواصل الصوت الوحيد القادر على توحيد عالم، فقد كل مرجعياته للتواصل ولنتواصل بالأدوات والتقنيات التي تضعف التواصل نفسه، هذا هو بداية التناقض الذي وضعنا فيه، بحيث لجأت المجتمعات الحديثة إلى إعلاء القيمة المركزية للتواصل لمعالجة المشاكل التي نتجت عن خياراتها الأساسية، وعقدت البشرية الأمل على عصر الاتصال، غير أننا في الوقت نفسه أصبحنا نعاني فيه من التواصل، والمفارقة أن كثرة وسائل الاتصال ألغت التواصل وغيرت من مظهره حيث يعاني الانسان الحديث من الإحباط والعزلة وعدم تماسك النسيج الاجتماعي ومن العزلة والاعتزاب والقيم المعرضة للاندثار<sup>2</sup>، وعلى الرغم من تطور التكنولوجيا وازدهار العلوم في مختلف المجالات من بينها التواصل إلا أن هذا الأخير قد تسبب في نكسة، فعوض أن يجعل الانسان الحديث في ضوء التطور رمى به الى عالم العزلة مما تسبب له بتلاشي وضعف النسيج الاجتماعي.

وعلى ذلك فإن الأخلاق التواصلية عند هابرماس تخلق من خلال التداوليات الكلية إطارا عقلانيا للتفاهم بين مختلف مجالات المعرفة، وللتفاوض بين المصالح المتعددة، لا تحتاج الى أي مبدأ مسبق لأنها تستند أساسا على المعايير الأساسية للخطاب العقلاني الذي يتعين افتراضه طالما أننا نتحرك داخل سياق للمناقشة والتواصل<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - محمد نور الدين أفاية، الحدائث والتواصل، المرجع السابق، ص 265

<sup>2</sup> - حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، المرجع السابق، ص 141.

<sup>3</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 262.

لقد قام هابرماس أيضا بوضع نظريته الأخلاقية في العديد من الأعمال والمؤلفات الهامة ومنها نظرية الفعل التواصلي والأخلاق والتواصل وفي أخلاق المناقشة، فميز تميزا دلاليا مهما بين المسائل الأخلاقية وهي ثمرة لسبيل برهاني كلي.

ويحاول هابرماس أن يؤكد على أن أي فرد لديه القدرة على النقاش بطريقة كلية ومباشرة، وهذا النقاش يتبع معايير أخلاقية معينة يضعها ويؤسسها الوعي الأخلاقي، أو بالأحرى الأخلاق النظرية، ومع هذا كله فهذا لا يفرغ النظرية الحديثة للأخلاق من محتواها والذي يظهر في النقاش بين الأفراد من أجل الوصول الى صيغة أخلاقية كلية وشمولية<sup>1</sup>.

لقد وضع هابرماس شروط معينة للنقاش وهي (الصدق - المسؤولية - الحقيقة) وهي بمثابة فرضيات وضع مثالي لجماعة تواصل غير محدودة تهدف لإقامة علاقات تداولية تواصلية فأى حوار يجب أن يكون قائما على الصدق لأنه أساس الحوار والتواصل وأهم شيء أيضا في التواصل هو تحمل المسؤولية الى جانب الحقيقة التي توصلنا في نهاية المطاف الى نقاش إيجابي.

فالأخلاق لدى هابرماس تقوم بدور رئيسي فهي تقوم بالفصل أو القطع بين الملفوظات التقييمية والملفوظات المعيارية، ولذلك نجد أن المجال القابل لتطبيق أخلاقيات ذات طبيعة أدبية يتحدد في الوقت الذي يتعلق الأمر بمسائل عملية قابلة لأن تخضع للنقاش.<sup>2</sup> ويرى أيضا أن مبدأ التواصل لا يمكن أن يقوم بدور أخلاقيات المناقشة، لأن الأخلاق تقوم بدور رئيسي متمثل في الفصل بحيث يؤسس أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية، كما تشكل أخلاقيات المناقشة أسس الأخلاق بحسب أبل ولا سيما لدى جماعة إنسانية مفترضة تحتكم إلى البرهنة، وبهذا المعنى تشكل أخلاقيات المناقشة

<sup>1</sup> - جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل عوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط 1، 2001، ص 73-74.

<sup>2</sup> - حسن مصدق، نظرية الفعل التواصلي، المرجع السابق، ص 151.

شروط إمكان قبلي للبرهنة العقلانية عبر لعبها اللغوية<sup>1</sup>، تشكل أخلاقيات المناقشة حسب أبل أسس للأخلاق لأن الأخلاق شرط لتكوين البرهنة اللغوية.

في حين تذهب "جاكلين روس": إلى أن هابرماس يؤكد على أنه ينبغي على من يريد النظر الى أمر من الأمور من الزاوية الأخلاقية ألا يتجاوز سياق ما بين الأشخاص المشاركين في التواصل والذين يدخلون في علاقات شخصية بينهم، ونحن حين نتجاهل سياق التفاعل الذي يتم من خلال اللغة وكذلك، زاوية المشارك بوجه عام لا نحصل على نظرة حيادية بل نصل إلى رفع الحواجز حسب النظرات الفردية للمشاركين<sup>2</sup>.

أما حسب أبل فتشكل أخلاقيات المناقشة أسس أخلاقية، كون أن الأخلاق شرط لتكوين البرهنة اللغوية، في حين يميزها هابرماس بين المناقشة النظرية والمناقشة العملية<sup>3</sup>، كما نجد أن كارل أتو أبل يرى ان المناقشة الحجاجية ليست لعبة قوامها اللغة jeu de langue يكون الانخراط فيها من عدمه سيان، بل أنها تعد عماد النشاط التواصلية، بما هو ماهية أساسية ذاتية وبين ذاتية في الوقت ذاته، وهو ما ينطبق حصرا على أنواع النشاط التي كان قد حددها هابرماس كالنشاط الخاص بالصدق أو الانضباط<sup>4</sup>.

أما هابرماس فيحصر مفتاح أخلاقيات المناقشة في افتراضين هما:

الأول متمثل في كون الادعاءات المعيارية للصلاحيات تتضمن معنى حرفيا يجوز التعامل معها بوصفها ادعاءات للحقيقة والافتراض الثاني متمثل في ضرورة الدخول في مناقشة حقيقية لتأسيس المعايير والأوامر اعتمادا على العقل<sup>5</sup>.

من خلال ذلك يمكننا القول جليا بأن هابرماس رأى بأن هناك إفتراضين لتكوين أخلاقيات النقاش متمثل أولا في الادعاءات التي يقوم عليها النقاش والثاني أن الادعاءات في

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 265.

<sup>2</sup>- جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص 74.

<sup>3</sup>- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 205.

<sup>4</sup>- كارل أتو أبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة: عمر مهيب، المركز الثقافي العربي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، د ب، د ط، 2005، ص 9.

<sup>5</sup>- محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 206.

ظل المناقشة تكون معتمدة على حجج وبراهين عقلية، في حين لا يعيب عنا ان كارل أوتو آبل الذي كان على وفاق مع هابرماس في الكثير من النقاط أقر بأن المناقشة تعد عماد النشاط التواصلية لأنها تهدف إلى تأسيس شكل يسهل النقاش والحوار.

إن التصور الهابرماسي سواء لفلسفة الوعي أو للفاعلية التواصلية يدعو الكثير من الباحثين ليرى أن الأسلوب النقدي الذي انتهجه هابرماس واهتمامه الواضح بنقد العقل النظري الغربي في الزمن الحديث، ونقد أشكال الممارسة والعمل داخل المجتمع الذي أنتجته الحداثة، يجعله قريباً من الفلسفة الكانطية بل يبدو أحياناً أخرى أنه أكثر كانطية من كانط نفسه<sup>1</sup>.

ويمكن القول أنه بالرغم من أن هابرماس إنطلق من القاعدة النظرية التي أسستها النظرية النقدية، وتأثره المبالغ فيه بأدورنو، فإنه لم يكتف باتخاذ هذه المدرسة مصدراً وحيداً من مصادر فلسفته، وذلك يظهر منذ كتاباته الأولى، ونلاحظ بأن هابرماس ينوع قراءاته وينتقل من مرجع إلى آخر ومن حساسية ثقافية إلى أخرى، كل ذلك من أجل امتلاك النظرية الفلسفية التي تخوله لإمكانية فهم الحداثة الغربية في بداياتها<sup>2</sup>. لذلك هابرماس قام بعملية إعادة بناء لمجموعة من الاجتهادات النظرية التي جعلت من ظواهر الحداثة موضوعاً لها<sup>3</sup>.

يتحدث هابرماس عن أخلاقيات التواصل ويرى: "أن للتواصل معايير أخلاقية تنظم تبادل الأفكار وإدعاءات الصلاحية من خلال المناقشة"<sup>4</sup>. في نظره أن للتواصل أخلاقيات يجب الارتكاز عليها من خلال الحوار وتبادل الأفكار في المناقشة. حيث يؤكد على ضرورة إدخال الأخلاق في التواصل بين الناس، وذلك لأن النشاط التواصلية من زاوية التداوليات

<sup>1</sup>-مجد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 247

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص 243-244.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص 241.

<sup>4</sup>-أبو النور حمدي أبو النور حسن، الاخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 262.

الصورية يساعد على إدراك الظواهر الأخلاقية داخل العالم المعيش<sup>1</sup> ولقد أكد على ضرورة الأخلاق في القيام بالحوار والمناقشة التي هي من أساسيات التواصل.

لذلك وضع هابرماس شروطا للنقاش وهي بمثابة فرضيات وضع مثالي لجماعة تواصل غير محدودة تعتمد المناقشة العقلانية يتمثل المتحاورون لها مسبقا لأنها تتوافر على الشروط المعيارية لكي يتمكنوا من تأسيس أخلاقيات التواصل، حيث تتمثل في قواعد إجرائية تهدف الى إقامة علاقات تداولية بين أطراف الحوار وهي متمثلة في الصدق والمسؤولية والحقيقة.

ولذلك نجد أن المجال القابل لتطبيق أخلاقيات ذات طبيعة أدبية، يتحدد في الوقت الذي يتعلق الأمر بمسائل عملية قابلة لأن تخضع للمناقشة العقلية من أجل الوصول للإجماع<sup>2</sup>.

ويرى أن مبدأ التواصل لا يمكن أن يقوم بدون أخلاقيات المناقشة، لأن الاخلاق تقوم بدور رئيسي متمثل في الفصل حيث يؤسس هابرماس أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية، كما تشكل أخلاقيات المناقشة أسس وأخلاق بحسب آبل ويتساوى أعضائها في الحقوق والواجبات، وبهذا المعنى تشكل أخلاقيات المناقشة شروط إمكان قبلي للبرهنة العقلانية عبر لعبها اللغوية<sup>3</sup>.

يميز هابرماس في سياق حديثه عن المناقشة بين النظرية والعملية لأن شكل المناقشة النظرية يساعد على التجذير التدريجي، وعلى "التأمل الذاتي للذات الفاعلة للمعرفة". أما المناقشة العملية فهي تسعى كذلك على التجذير التدريجي وعلى التأمل الذاتي للذات المتداخلة في الفعل<sup>4</sup>. مهما كانت طبيعة المناقشة فإنها تستند على البرهان لتكون ذات معيار كافي لتبرير على الادعاءات الخطابية.

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص263.

<sup>2</sup>-حسن مصدق، نظرية الفعل التواصلية، المرجع السابق، ص151.

<sup>3</sup>-أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص265.

<sup>4</sup>-مجد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص205.

لقد لجأت المجتمعات الحديثة إلى إعلاء القيمة المركزية للتواصل لمعالجة المشاكل التي نتجت عن خياراتها الأساسية، وعقدت البشرية الأمل على عصر الاتصال، غير أننا في الوقت نفسه أصبحنا نعاني فيه من اللاتواصل<sup>1</sup>.

وكما استطاع الفيلسوف وعالم الاجتماع يورغن هابرماس تحقيق قصب السبق في تأسيس نظرية فلسفية جديدة أخذت الآن تخترق ميادين عملية جديدة، تنزع الاعتراف تلو الأخرى بأصالتها وجدديتها وعمقها الإنساني والعلمي، لذا يجب توضيح خصائص هذه العقلانية النقدية وكيف تأسست فلسفة التواصل عند هابرماس وكارل أتو آبل رائدي المدرسة النقدية الجديدة.

ودعنا نذكر بأن المعرفة عند هابرماس غير ممكنة إلا انطلاقاً من شروط عقلانيات التواصل، فالتواصل غير ممكن إلا انطلاقاً من الاستعمال الإنساني للخطاب، وتستند عقلانية التواصل هاته إلى أخلاقيات المناقشة والبرهنة مؤكدة على الالتزام قبل أي نقاش والموافقة مسبقاً على معايير منطق الخطاب وصفاته (الصدق- الصحة- الصلاحية- الدقة- المسؤولية- المعقولية)، وكلها شروط للتواصل العقلاني<sup>2</sup>.

نلاحظ بأن هابرماس أعطى أهمية للممارسة التواصلية في خلق التفاهم حيث تسمح الممارسة التواصلية اليومية بخلق تفاهم بين الذوات موجه من طرف دواعي الصلاحية التي تتشكل في واقع الحل، الوحيد لتعويض الخصومات المتنوعة التي عرفتها وتعرفها المعرفة الفلسفية، فليس هناك تواصل بين الذوات بدون أن تكون عالماً موضوعياً<sup>3</sup>. يرى هابرماس أم الممارسة التواصلية تسمح بخلق تفاهم بين الذوات فهي التي تشكل الحل الوحيد لتعويض الخصومات التي تعرفها المعرفة الفلسفية التي تعد النمط الأساسي للوصول لتفاعل تواصلية بين الذوات.

<sup>1</sup>-حسن مصدق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص141.

<sup>2</sup>- مرجع سابق، ص142.

<sup>3</sup>-نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص58.

إن هابرماس يؤكد على مدى التفاهم والاتفاق والتواصل والاجتماع، وتماشيا مع فهمه المعياري للحدثة، باعتبار العالم الحديث بمختلف عوالمه المعيشة يحتاج إلى أخلاق تواصلية بهدف خلق شروط معيارية للاتفاق على الحقيقة المبرهن عليها والمتحولة على الدوام<sup>1</sup>، ان التفاهم والاتفاق والتواصل ومصطلحات يريد هابرماس أن تكون ملازمة للأخلاق التواصلية بمعنى لصيقة بها، لكي تكون لهذه الاخلاق القدرة على التبرير والتفسير دون تجاوز حدود الاحترام.

إن وضع هابرماس لنظريته الأخلاقية في العديد من الاعمال والمؤلفات الهامة منها "نظرية الفعل التواصلية" و "في أخلاق المناقشة" قد ميز تمييزا دلاليا جد هام بين المسائل الأخلاقية وهي ثمرة لسبيل برهاني كلي، ومشكلات الأخلاق النظرية وهي عنده تعود الى الاختيارات القيمة التفضيلية لكل فرد، اختيارات ذاتية في الأساس لأخلاق تقابل منظور كلي يجاوز تماما حدود كل ثقافة معطاة بينما الاخلاق النظرية بالمعنى الدقيق لا تتناول كلها تناولا تاما<sup>2</sup>.

يعني هذا بأن هابرماس يحاول جاهدا تأكيد أن أي فرد لديه القدرة على النقاش بطريقة كلية ومباشرة وهذا النقاش يتبع معايير أخلاقية كما ذكرت سلفا والتي يؤسسها الوعي الأخلاقي أو بالأحرى الأخلاق النظرية<sup>3</sup>، ويؤكد على أن اللغة تحيل إلى الاتفاق والقبول والتواصل والاختيار المستنير لجملة أفراد يتحاورون ومن هنا كانت فكرة الاتفاق تطبع بطباعها البحث الأخلاقي والأخلاقي النظري، والحوار هو أساس اتفاق الفاعلية وهو الذي يحدد نظرية الأخلاق النظرية<sup>4</sup>.

ويذهب هابرماس إلى أن مبادئ العقلية في أخلاقيات التواصل تكون نقاش متميز بالدقة والحقيقة عن طريق البراهين، كما يشير الى أنه بصدد الفعل التواصلية تلزمنا

<sup>1</sup>- نور الدين أفاية، الحدثة والتواصل، المرجع السابق، ص162.

<sup>2</sup>- أحمد عبد الحليم، عطية، ما بعد الحدثة والاختلاف، ضمن مجلة إصدارات أوراق فلسفية، مقالات فلسفية، القاهرة، 2005، ص275.

<sup>3</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، المرجع السابق، ص248.

<sup>4</sup>- جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص75.

الهيرومينوطيقا النقدية للوصول الى الغاية المشتركة من هذا الفعل وهو الفهم المتبادل.<sup>1</sup> إن أساس الفعل التواصلي هو الهيرومينوطيقا وذلك من خلال الفهم بين المشتركين في الفعل التواصلي.

فالأخلاق التواصلية هي أساس التفاهم في نظر هابرماس، حيث يؤسس أخلاقيات التواصل على مبادئ عقلية تستمد بعض عناصرها من التداوليات الكلية التي تسمح بالتفكير في الأساس الذي يجعل من التلغظات وأفعال الكلام حقيقية ودقيقة<sup>2</sup>، فالأخلاق التواصلية عند هابرماس إذا من خلال التداوليات الكلية هي التي تخلق يطار عقلانيا للتفاهم بين مختلف مجالات المعرفة والتفاوض بين المصالح المتعددة<sup>3</sup>.

إن التأسيس النهائي للأخلاق يستحيل لدى هابرماس لذلك ينبغي أن يستبدل باللجوء إلى الأخلاقية التي كانت دوما منغرسه في بنية النشاط التواصلي<sup>4</sup>، ومن أجل فهم السبل الاتصالية لابد أن يميز الباحثين بين نمطين من أنماط الفاعلية العقلية عند هابرماس:

أ- **الفاعلية الأدواتية:** وهي الفاعلية المتجهة شطر النجاح وتتم بوسائل توائمها وتلائمها.

ب- **الفاعلية التواصلية:** وهي التي تخضع للتفاهم المتبادل<sup>5</sup>.

وتفهم الفاعلية التواصلية ضمن حوار متبادل يهدف إلى التفاهم والقبول بين المشاركين إن الحوار والنقاش الصحيح تراضي، فهو لا يقوم على أسس معقولة وليس بالتحديد والعنف فالنقاش يقوم على القوة الخالية من عنف الخطاب وعلى هذه الأسس يؤثر المتحاورون الواحد في الآخر في الفاعلية الاستراتيجية، وفي الفاعلية التواصلية يؤثر الفاعلون طبقا للتفاهم المتبادل، وهنا مبدأ الأخلاق أن كل تواصل هو أمر معياري، أنه

<sup>1</sup>-عادل مصطفى، فهم الفهم، المرجع السابق، ص202.

<sup>2</sup>-أبو النور حمدي أبو النور حسن، المرجع السابق، ص207.

<sup>3</sup>-المرجع نفسه، ص167.

<sup>4</sup>-كارل أتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، المرجع السابق، ص37.

<sup>5</sup>-أبو النور حمدي أبو النور حسن، المرجع السابق، ص252.

يفترض مسبقاً أن الآخر شخص وأننا لا نتعامل معه كشيء، فالتواصل إيضاح مملكة الأخلاق النظرية، يعلن عن الاعتراف بالأشخاص ضمن أفق التعميم الكلي<sup>1</sup>.

إن نظرية أخلاق التواصل تتوخى تحليل افتراضات أي خطاب أو أي تواصل يتحقق بواسطة أفعال الكلام<sup>2</sup>، فيجب التعميم الكلي في دائرة الأخلاق النظرية وهي في الواقع إن كل تواصل يفترض مسبقاً وجود تفاهم بين الأعضاء مبدأ تعميم كلي يلازم النقاش، ولذا فإن النقاش يتجلى في صورة عقل عملي وتفتح السبل أمام ما يبدو صالحاً للجميع<sup>3</sup>.

ويجمع هابرماس بين الأخلاق النظرية ومبدأ التواصل الشفاف، فالعقل التواصلية بوصفه قدرة بين الأشخاص عامة، بحسب قواعد شاقة وحيادية، هو الذي يسود مقارنة هابرماس، وهي ترجع إلى معايير التعميم الكلي للخطاب والذي يتيح بلوغ حقل الأخلاق.

إذ يميز هابرماس بين الأخلاق النظرية والعملية التي تعتمد على قواعد شاقة وحيادية، حيث لا يتمثل مشروع إتيقا التواصل حسبه في الإقرار بحقيقة مطلقة ولا تسويغ شيء تم اختياره، بل يتمثل في السعي وراء الوصول إلى إقرار أو اختيار أو تقويم من لدن متحاورين مناصفة من دون ضغط أو إكراه<sup>4</sup>.

ولا ينظر هابرماس إلى أخلاقيات المناقشة على أنها موضوع للتنظيم بل يعتبرها منهجاً وإجراءً يسمح بتحديد معايير عادلة لزوايا النظر الأخلاقية، لذلك لم يدع هابرماس إلى وضع معايير لأخلاقيات النقاش تكون نابعة من الذات على نحو ما، بل سعى جاهداً أن يجعلها نظرية تبحث في الطرق والإجراءات السليمة التي تمكن الذات المتفاعلة فيما بينها من التواصل عبر الحوار إلى صياغة تلك المعايير الأخلاقية.

إن العلاقة الجدلية القائمة بين مفهوم إتيقا المناقشة و مفهوم التواصل الذي يعد أيضاً من المفاهيم المفتاحية لفهم المجتمع المعاصر، حيث يتعذر فهم أحدهما فهماً

<sup>1</sup>-جاكلين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، المرجع السابق، ص76.

<sup>2</sup>-المرجع نفسه، ص77.

<sup>3</sup>-أبو النور حمدي أبو النور حسن، المرجع السابق، ص253.

<sup>4</sup>-زرورق زينة، الفلسفة، المرجع السابق، ص492.

حقيقيا دون العودة الى الآخر، فإذا كان "يان باتوكا Yan Patocka" قد أشار إلى أن الإنسان كائن إتيقي، على الرغم أنه ليس من ابتدع الإتيقا فإن هذه الأخيرة هي من تحدد كينونته، أما هابرماس فيعتقد أن الإنسان كائن إتيقي تواصلية ذلك أن مفهوم التواصل يلامس حقولا معرفية متعددة كلسوسولوجيا، الأنثولوجيا، السيميائية، التداولية، النظرية النقدية ومبحثها الأهم إتيقا المناقشة<sup>1</sup>. إن ضرورة الدخول في نقاش حقيقي يدفع إلى تأسيس معايير وأوامر اعتمادا على العقل التواصلية للمتجاوز وليس على العقل الفردي<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة، المصدر السابق، ص 7-8  
<sup>2</sup> - محمد نور الدين أفاية، الحدائفة والتواصل، المرجع السابق، ص 206.

## المبحث الثالث : النظرية التواصلية بعدسة يورغن هابرماس

إن مفهوم التواصل غداً من المفاهيم المركزية المتداولة في الفلسفة وبوجه خاص الفلسفة المعاصرة، إذ لم يعد الاهتمام مسلطاً على التواصل في مجاله التداولي الذي يرتبط بالمعلومات والتقنيات وإيصالها، بل أصبح يشكل نظرية علمية وفلسفية قائمة بحد ذاتها مستقلة عن العلوم الأخرى. وتعد مرجعية هابرماس الفلسفية دليلاً على هذا التحول الجذري الذي طرأ على الساحة الفلسفية. فهذه الخلفية استفادت كثيراً من النظريات الاجتماعية التي سبقتها والتي كانت ممهدة لهذا التحول كونها حولت جل اهتمامها نحو الذات أو الأنا. إذن تعتبر حصيلة تفاعل مع الطرف الآخر.

لقد صاغ هابرماس في مفهومه الجديد عن العقلانية، نظرية الفعل التواصلية تنشئ علاقة داخلية بين البراكسيين (الممارسة) وبين العقلانية التي تتيح للمضمون المعياري المرتبط بالفاعلة الموجهة نحو الفهم المتبادل التواصل إلى مفهوم عقلانية تواصلية.<sup>1</sup> وفي تناولنا للعقلانية التواصلية عند هابرماس نرى بشكل ملفت أنه قد انطلق من مفهوم جديد للعقلانية وذلك من خلال إدانته للعقل الأداتي، بحيث أكد أهمية العقل باعتباره المنطلق الأساسي لأي نظرية في المجتمع. ومن هنا دمج البعد التواصلية في مفهوم العقلانية.

إذ يهدف هابرماس من خلال العقلانية التواصلية إلى وضع نظرية نقدية للمجتمع، تقوم على أسس عقلانية، فيقول : "أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحدائفة باستخدام نظرية تواصلية تملك الدقة التحليلية التي تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية والتي يسميها الماركسيون بالتشيؤ".<sup>2</sup> إذن يريد هابرماس من خلال نظريته وضع نظرية نقدية للمجتمع بأسس عقلانية.

<sup>1</sup> - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي، المرجع السابق، ص 22.

<sup>2</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 248.

فهو لا يتناول مسألة التواصل تناولا فلسفيا بالمعنى الحرفي للكلمة، إنما يتناولها من منظور السوسيولوجيا أو علم الاجتماع، بوصفها فعلا اجتماعيا. وبهذا المعنى يصح القول بأن هابرماس ينتصر للنظرية الاجتماعية على حساب فلسفة الوعي. إذ ثمة فرق بين تناول التواصل من منظور الفاعل للتواصل وبين تناوله كما لو كان فعل حوار أو تحاور تتدخل فيه أطراف متعددة.<sup>1</sup>

لقد أمسى العقل التواصلية هو المنظم للنشاط التواصلية سعيا وراء وضع شروط حقيقية لمجتمع ممكن. وهابرماس حينما انتقد العقل الغربي لم يلتقي إجرائيا مع النقد الذي وضعه نيتشه، لأن هذا النقد أسير فلسفة الذات، وإنما أراد القول بأن العقل التواصلية يتجاوز الذات ليكون نسيجا من الذوات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها.<sup>2</sup> ونجد أن مفهوم العقل التواصلية يمثل إسهما أصيلا.

إذ يعترف هابرماس بفضل علماء الاجتماع في بلورة هذا المنظور الجديد للتواصل قائلا: "إن تحول المنظور الذي انتقل من الفعل الغائي إلى الفعل التواصلية بدأ مع هاربرت ميد و دوركهايمر، هؤلاء إلى جانب ماكس فيبر ينتمون إلى جيل المؤسسين للسوسيولوجيا الحديثة.<sup>3</sup>

عمد يورغن هابرماس في معالجته للمشكلات المستجدة في الحداثة والتطور العلمي في ميدان البيولوجية إلى الارتكاز على مشروعه التواصلية الذي رأى فيه المخرج الحقيقي الذي بإمكانه أن يقدم حولا معقولة مقبولة للمسائل التي تطرحها العلوم الحديثة ككل. وهذا يعني أن التواصل هدفه هو الاستمرار الذي يقابله الاتصال.

<sup>1</sup> - مانفريد فرانك، حدود التواصل، ترجمة: عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، د ط، 2002، ص 15.

<sup>2</sup> - هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، المرجع السابق، ص 452.

<sup>3</sup> - J. Habermas, Theoric de l'agir comunicatinnel, Trad, J M. Ferry, Paris 1887, T 1, P 09.

والاتصال في الواقع كلمة حديثة تحتل منزلة كبرى في التفكير المعاصر، وهي تدل في إطار معنى عام جدا على ذلك التبادل بالإشعارات أو بالرسائل المجراة بين شخص وآخر. بين فرد وفرد أو بين جماعة وجماعة.<sup>1</sup> اعتبر التواصل أساس الاستمرارية.

لقد أراد هابرماس أن تكون العلاقات التواصلية بين الأفراد، أي بين الفرد والآخر دائما على أساس اللغة التي شكلت لديه نسقا من القواعد تساعد على توليد تعبيرات لدرجة أن كل تعبير مصاغ بشكل صحيح يعتبر عنصر من هذه اللغة. ومن ثم فالذوات القادرة على استعمال هذه التعبيرات تشارك في عمليات التواصل لأنها تستطيع التعبير وفهم الجمل والجواب عنها.<sup>2</sup>

فالتواصل يعد نشاطا تبادليا و علائقيا، فإنه يتم بصور شتى كالأصوات و الإشارات و الصور، لكن يبقى التواصل اللغوي أرقى أنواع التواصل، ومن هنا تطرح الطبيعة الإتيقية للتواصل المتبادلة بين المرسل و المتلق، رسائل غير بريئة بالمقدار نفسه أداة للصراع والخصام<sup>3</sup>، كون التواصل نشاط لتبادل الآراء والأفكار بين الأفراد عن طريق الحوار (الأصوات، الإشارات ، ...) فالحوار يعتبر كونه ترعى التفاهم وحرية الفرد من الهيمنة.

إن العلاقة التواصلية لدى هابرماس شكلت نسقا من القواعد يساعد على استخراج التعبير من اجل التواصل بشكل سليم، إذ أن المنافسة والإقناع والحوار هما هدف هذه النظرية وإن هدف التفاهم هو الوصول للاتفاق بين المتفاعلين المشاركين في الحوار.

إن اللغة إذن في نظره حوار بين عقول المتحدثين، تهدف إلى إقامة جسر التفاهم وبلوغ التوافق بصدد القضايا المثارة بينهم من دون اللجوء إلى العنف. واللغة هنا جملة من

<sup>1</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 243.

<sup>2</sup>- زروخي دراجي، المذاهب الفلسفية الكبرى من سؤال المعرفة إلى سؤال القيم، دار صبحي للطباعة والنشر، غرداية، ط1، 2005، ص 287.

<sup>3</sup>- علي عبود المحمداوي، مدرسة فرانكفورت النقدية، جدل التحرر والتواصل والاعتراف، ابن النديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، بيروت، ط 1، 2012، ص 227.

القواعد تؤسس للاتصال والتواصل بين الناس وليس أصوات تلقي شذرا.<sup>1</sup> إذن هي وسيلة من خلالها يتبلور التواصل الاجتماعي السليم لبلوغ التوافق، لأنها مصدر للإقناع والبرهان، فغاية اللغة الأولى والأخيرة هي التواصل. ويؤكد هابرماس أهمية اللغة ودورها في العقلانية التواصلية.<sup>2</sup> إذ تحمل اللغة أهمية بالغة في تأسيس الاتصال والتواصل من خلال الفهم وتبادل الآراء عن طريق المحاورة.

فالعقل التواصلية هو مفهوم صاغه هابرماس لمحاولة تنمية البعد الموضوعي الإنساني للعقل، ولذلك يطلق مفهوم العقل عند هابرماس "بالعقل التواصلية" "comunicationnel reazon"، هذا الأخير لديه فاعلية تتجاوز العقل المتمركز حول الذات لأن غايته التواصل. والهدف منه هو النشاط التواصلية، حيث يؤكد هابرماس على ضرورة الخروج من فلسفة الذات من خلال مخرج مهم وهو ما يسميه العقل التواصلية.<sup>3</sup> وبهذا يحاول الانتقال من العقل الأداتي إلى القول التواصلية من خلال المشاركة في التفاعل إذ يؤكد على العقل التواصلية كصيغة تركيبية لقضية الحداثة.

حيث كان من أهم المكونات الأساسية لمشروع هابرماس التواصلية علم الاجتماع وارتباطه بمشكلة العقلانية. ومن هنا كان اهتمامه بعلماء الاجتماع أمثال ماكس فيبر وهوركهايمر وتالكوت بارسونز.<sup>4</sup>

كما أن هابرماس في تعريفه للفعل التواصلية انطلق من تعارضه مع الفعل الاستراتيجي، بيد أن المعنى الذي استقر عليه واسع. إذ يرى أن الفعل الاستراتيجي هو ذلك السلوك الذي نسلكه لكي نصل إلى غايتنا.<sup>5</sup> فالتواصل هو سلوك يسلكه الفرد للوصول إلى غاية محددة.

<sup>1</sup> - حسن مصدق، النظرية النقدية التواصلية، المرجع السابق، ص 18.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 126.

<sup>3</sup> - يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، المصدر السابق، ص 356.

<sup>4</sup> - عطيات أبو السعود، نظرية الفعل التواصلية عند هابرماس، المرجع السابق، ص 315.

<sup>5</sup> - عمر مهيب، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 362.

يقصد هابرماس بالنشاط التواصلي ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز وهو يخضع ضرورة للمعايير الجاري بها العمل والتي تحدد مختلف أنماط السلوك المتبادلة على أساس أن تكون مفهومة ومعترف بها بالضرورة من طرف ذاتين فاعليتين على الأقل.<sup>1</sup> إن منطق النشاط التواصلي هو التفاعل الحاصل بين ذاتين فاعليتين على الأقل بواسطة الحوار حيث يرى أن نظريته مؤهلة للجواب على هذه الأسئلة التي يجب أن تكون قادرة على الإشارة إلى الشروط التي يكون فيها الآخر قادرا على ربط أفعاله بأفعال الأنا.

إن أساس فعل التواصل هو تعاقب الأفعال المكونة من طرف مختلف الفاعلين وذلك من خلال أن كل فرد يحفز الآخر للفعل بطريقة مشتركة عن طريق الكلام.

لقد استمد البعض من نظرية الكلام بوجه خاص ومن علم اللغة الاجتماعي، إن مفهوم الفعل التواصلي يفترض اللغة بوصفها الوسط الذي يمكن أن يتحقق فيه نو من التفاهم ومن خلاله يستطيع المشاركون في التفاعل أن يثيروا مزاعم الصدق التي يمكن الاتفاق عليها أو الاختلاف حولها.<sup>2</sup>

ويشير هابرماس إلى أن اللغة لها أهمية كبيرة في الاتصالية أو الاتصال ، وهذا ما يؤكده من أهمية اللغة ودورها في التواصل.

**مراحل الفعل التواصلي :** إن الفعل التواصلي حسب هابرماس يمر بثلاثة مراحل :

**أولا :** مرحلة التفاعل الذي تتوسطه رموز، وهذه المرحلة تقوم على فاعليتين : الأولى "القول" والثانية "الفعل"، وعن طريق الرمز التواصلي (القول) يتم التعبير عن رغبة في السلوك وما عن طريق النية في تحقيق هذا القول (الفعل) يتم تلبية تلك الرغبة ومن خلال هذه التبادلية يمكن أن يشكلان الحوار البينداتي.

<sup>1</sup> - محمد نورد الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 182.

<sup>2</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 255.

ثانياً : مرحلة الخطاب المتميز بالنسبة لمضمونه، في هذه المرحلة ينفصل القول عن الفعل، فلا يمكن الاستناد إليهما بالنسبة للشخص الفاعل فقط، بل يدخل هنا موقف الشخص الملاحظ والمشارك في الحوار وهنا يمكن التبادل في التصورات بين المشاركين في الحوار.

ثالثاً : مرحلة الخطاب البرهاني (الحجائي)، هنا تتشكل مقتضيات الصلاحية التي ترتبط بين جانبيين، الأول أفعال اللغة المنجزة والثاني معالجة افتراضات المعايير بحيث تكون قابلة لأن تكون شرعية أو غير شرعية.<sup>1</sup>

كما نلاحظ فإن هابرماس ميز بين ثلاثة مراحل لتكوين الفعل التواصلية وذلك من خلال تحول الفعل الرمزي إلى مرحلة الخطاب اللغوي من خلال الحوار والمناقشة دون نسيان البرهنة والحجاج والإقناع. فاللغة كما سبق وقلنا هي الأساس، هي عماد الفهم والتواصل.

ويقصد بالفعل التواصلية "ذلك التفاعل المصاغ بواسطة الرموز إنه يخضع ضرورة للمعايير المعمول بها والتي تحدد تطلعات السلوكيات المتبادلة بحيث يتعين أن تكون مفهومة ومعترف بها من طرف شخصين فاعلين على الأقل."<sup>2</sup> إن هذا التفاعل المصاغ بواسطة الرموز التي تعتمدها اللغة يضمن الوصول إلى التفاهم بين الأطراف المتحاوره لتحقيق الاندماج بين الأعضاء الفاعلة.

إن هذه النظرية تعني فيما تعنيه صياغة نظرية لتواصل وبلورة القوانين التي تتحكم فيه. وهذا التواصل عبارة عن علاقة موازية حرة بين فئات المجتمع المتعددة تتوخى بناء وعي حر لا تحكمه المؤسسات أو الإيديولوجيات المفروضة من قبل الأنظمة السياسية.<sup>3</sup> فالنظرية التواصلية عند هابرماس تكون بصياغة القوانين من أجل التواصل الذي يعمق الترابط بين الأفراد والمجتمع.

<sup>1</sup> - يورغن هابرماس، بعد ماركس، المصدر السابق، ص 92-93.

<sup>2</sup> - كمال بومنيير، النظرية النقدية لفرانكفورت، المرجع السابق، ص 118.

<sup>3</sup> - أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 15.

شروط تحقيق تجربة تواصلية : حدد هابرماس شروطاً للتجربة التواصلية لكي لا تكون عبارة عن تواصل مشوه كون حوار الفاعل مع ذاته ومع الذات فاعلة وأهم هذه الشروط نذكرها فيما يلي :

1. إن النشاط التواصلية لن يتم إلا من خلال علاقة تفاعل بين فردين أو أكثر داخل سياق العالم المعيش ولذلك فمن حق كل شخص له القدرة على الكلام والفعل أن يشارك في التجربة التواصلية، على أن يعلن اعترافه بمزاعم ومطالب الصدق.<sup>1</sup> فالنشاط التواصلية لا يتم خارج تفاعل بين فردين لأنه يتم بين ذاتين ويشترط فيه مطلب الصدق الذي هو أهم مطلب في التواصل.
2. أن تتم عملية التواصل من خلال اللغة التي بواسطتها تكون علاقة بين المشاركين وفي التفاعل بين العالم الخارجي بينهم وبين الذات الأخرى باعتبار اللغة الوسيط الأساسي في النشاط التواصلية وعن طريقها يتم الوصول إلى نوع من التفاهم.<sup>2</sup> تعتبر اللغة الوسيط الأساسي في النشاط التواصلية من خلال العبارات التي يتبادلها المتفاعلين كما أنها تعتبر أساس الاتفاق بين الذات.
3. يفترض المشاركون في التواصل أن الحوار له قواعد أخلاقية التي من أهمها توفر ظروف تضمن الإجماع الذي لن يتم الوصول إليه إلا عن طريق قوة الأطروحة الأفضل، فالحوار يخضع لمعايير يمكن التبرير عليها بحجج وأدلة وبراهين.
4. أن يعبر كل مشارك في التواصل عن فراغهم، الصدق والقدرة على تبريرها للمشاركة في عملية التفاهم المتبادل بأن: "يختار تعبير معقولة لكي يتمكن المتكلم والمستمع من تفهم الواحد للآخر، والمتكلم يجب أن تكون له نية التواصل لكي يتمكن المستمع من مشاطرة معرفته وعلى المتكلم أن يعبر عن مقاصده بصدق"<sup>3</sup>. إذا

<sup>1</sup> عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن 20، المرجع السابق، ص 103.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 104.

<sup>3</sup> - مجد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، المرجع السابق، ص 198.

فعلى كل مشارك في عملية التواصل أن يعبر بصدق وأن تكون له القدرة على تبريرها في عملية الحوار والتفاهم المتبادل.

5. حدد هابرماس شروط التواصل والمطالب الأساسية المفترضة للتجربة التواصلية من أجل فهم التعبيرات "قابلية التعبير اللغوي للفهم وحقيقة مضمونه أو صدق محتواه ومصداقية ومقاصدية المعبر عنه أو إخلاصها والمشروعية المعيارية للقول أو التكبير، أي المطالبة بأن يكون صحيحاً أو معياري يقرب المتكلم من المستمع".<sup>1</sup> هذه الشروط التي يجب أن تعتمد عليها التجربة التواصلية وهي شروط مهمة في الحوار والنقاش لأنها تضمن تحقيق نظرية الفعل التواصلية.

إن "العقلانية التواصلية" أدت بدورها إلى زيادة العقلنة الاجتماعية في مجال الأخلاق والقانون، ففي كتابه "نظرية الفعل التواصلية" يؤسس هابرماس لعقلانية جديدة اصطلاحاً بـ "العقلانية التواصلية" وهي توحى بالهدف المتوخى من فلسفة هابرماس، فبعد وقوفه على المأزق الأداتي نجده يتجاوزه إلى العقل التواصلية وينشد التواصل بين الذات.

وتأتي محاولته لإرساء دعائم مشروع تواصلية، فالتواصل كان ولا يزال يشكل حاجساً نظرياً وفكرياً راهناً، بل إن رهيبيته في صيرورة لا متوقفة، لأن أساليب التبادل الإنساني تتجدد باستمرار ولا سيما في زمن الثورة التكنولوجية التي جعلت من العالم قرية صغيرة، تلتقي فيها كل الأجناس وتتواصل فيها كل الثقافات واللغات والتجارب، لذلك فإن التواصل لا يمكن حصر تحركاته داخل مجالات اللغة باعتبار أن الزمن المعاصر خلف وسطات وقنوات كثيرة توفر للإنسان إمكانيات تواصلية لا حصر لها.<sup>2</sup>

وتعد نظرية هابرماس في الفعل التواصلية بمثابة منطلق جديد للعلوم الاجتماعية يستند إلى منجزات فلسفة اللغة فهو يرى بأن اللغة هي الملجأ الوحيد

<sup>1</sup> - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي، المرجع السابق، ص 105.

<sup>2</sup> - مجد نور الدين أفاية، الحدائث والتواصل في الفلسفة المعاصرة، المرجع سابق، ص 181.

الذي يمكن له أن يحدث قطيعة مع الأطروحات التقليدية في العلوم المتعلقة بالوعي والذات والفعل والممارسة.<sup>1</sup>

كما وجد هابرماس الملجأ في التواصل بين الذوات فتحول من الاهتمام بالذوات والأشياء إلى الاهتمام بقضايا التواصل والتفاهم بين الذوات ومن هدم فلسفات الوعي المتمركزة حول العقل إلى نظرية تقوم على الفعل التواصلية، وذلك من خلال النموذج اللغوي والسبب الذي جعل هابرماس يتحول إلى المنعطف اللغوي التداولي هو إفلاس التيارات السابقة عليه وعجزها عن إنتاج الأسس المعيارية للنظرية النقدية للمجتمع، وقد تبلور عمله في نظرية الفعل التواصلية.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة، المرجع السابق، ص 209.

<sup>2</sup> - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن 20، المرجع السابق، ص 92.

## خلاصة :

لقد أولى يورغن هابرماس بالغ الاهتمام باللغة كونها الوسيط في عملية التواصل بحيث أن فلسفة اللغة تدعو الفكر المعاصر إلى تغيير التصورات الكلاسيكية القديمة أي التقليدية. فاللغة هي الوسيط الذي من خلاله يتحقق التفاهم.

ونلاحظ أن التواصل عنده ليس مجرد عملية تبادل الخطابات، بل هو نوع من التبادل اللغوي. فالتجربة التواصلية تربط بين شخصين داخل عالم المعيش في إطار توافق لغوي. فالهدف من وراء المشروع الهابرماسي هو العلاقات الاجتماعية والاتصال، فهذا الأخير يقدم حلول للمشاكل الاجتماعية بطريقة تحاورية. إذا فالنقاش هو أساس التواصل عند هابرماس والفاعلية الوحيدة التي إمكانها ربط الصلة بين أطراف العالم، كما انه أدرج شروط الفعل التواصلية في منظومة أطلق عليها اسم التداولية الكونية التي يقصد بها الشموليه المتداولة في النشاط الاجتماعي.

أما التواصل في نظره فيحمل أكثر من دلالة، فهو تواصل مع الحداثة وهو تواصل بين الأفراد، حيث أن العقل التواصلية هو فعل نقدي فلسفي ولغوي قوامه الحوار الأخلاقي.

## خاتمة :

كحوصلة لبحثنا هذا وبعد كل ما تعرضنا إليه من إمام بمجمل الأفكار حول إشكالية "الأخلاق والتواصل عند هابرماس"، يمكننا القول بأن الفكر الهابرماسي فتح منافذ الفلسفة الغربية المعاصرة على آفاق جديدة وبحلة متميزة سار بها قدما، ساعيا من وراء ذلك إلى تشخيص العالم عامة والمجتمع الأوروبي خاصة.

في محاولة منه لتفكيك الدوافع والنتائج التي شكلت بدورها تهديدا للحياة الإنسانية أو الذات الإنسانية وبالأخص مشكلة الانفتاح على الآخر، فهذه النقطة تحديدا تشكل المشروع الفلسفي الهابرماسي، وقبل الخوض في ذلك لابد من الانعراج إلى أهم الخطوات المستخلصة التي نهجها مسار بحثنا.

لقد تمكن يورغن هابرماس من بلورة وتطوير الذات الإنسانية بفضل النظرية النقدية كونه انتهل مرجعيته من الجيل الأول لمدرسة فرانكفورت. ولقد كان هدفه من كل هذا هو إنشاء نظرية للمجتمع، لأن المجتمعات حينها كانت بحاجة إلى أسس متينة تقيم من خلالها التواصل، أو يصحنا القول العلاقة القائمة بين الأنا (الذات) والآخر والمعروفة بالبينذاتية.

وبما أنه فيلسوف النقد بامتياز، فلقد كان له عدة إسهامات في النظرية النقدية التواصلية، وكذا مسألة الحداثة، فعلى الرغم من التحولات على الصعيد الفلسفي وما قدمه من أعمال من خلال مشروعه، إلا أن الفلاسفة وقفوا عاجزين أمام حل بعض الأزمات، فبقيت قيد السؤال. وهنا حاول هابرماس نقد الحداثة نقدا بناء الهدف منه إعادة بناء الانكسارات التي حدثت فيما مضى.


أما الإتيقا في مفهومه فهي بحث في التأصيل الفلسفي واكتشاف لعلوم إنسانية متعلقة بالقيم السلوكية. فالأخلاق مع هابرماس لم تأخذ منحى الدين والميتافيزيقا، بل هي نتاج لحوار يتأسس على التواصل بدرجة أولى. فالتواصل هو نشاط يساهم في تفاعل الذوات.

وغير ذلك فلقد طور هابرماس نظريته المعروفة بنظرية الفعل التواصلي باعتباره أن معوقات التفاهم المشترك بين الناس وتواصلهم يقوم على أساس لغوي. فسوء الفهم مثلا يؤدي إلى غياب التواصل. فهو يرى بأن اللغة تمكننا من إحداث قطيعة مع الأطروحات التقليدية، فهي الملجأ الذي يوصلنا إلى تواصل سليم.

ويفترض شرطا آخر لانجاز مشروعه الفلسفي التواصلي وهو ضرورة حضور العنصر الأخلاقي. فلكي نتحصل على تواصل سليم، يجب أن يكون أساسه أخلاقيا، فالأخلاق هي البؤرة الطاغية على المشروع الهابرماسي التواصلي وهنا إذن فإنه يدعو إلى إحلال الحوار والتعايش والتواصل من أجل قيام نموذج للحياة التواصلية.

وتعتبر "نظرية الفعل التواصلي" بمثابة منطلق جديد لكافة العلوم الاجتماعية، بحيث تناول مسألة التواصل من الجانب الفلسفي والسوسيولوجي والاجتماعي من أجل تحقيق أخلاق تواصلية.

وبعد المشوار الطويل مع هابرماس نصل ختاماً إلى أن العالم العربي لو انفتح نحو هذا المشروع الهابرماسي لتطورت إنتاجاته من جهة ولفك الأسئلة المبهمة التي يواجهها الإنسان المعاصر من جهة أخرى. فما أحوجنا إلى الانكباب إلى هكذا مشروع خاصة لاهتمامه بالتواصل والحداثة والفضاء العمومي والعالم المعيش، مجتمعاً حدثياً يكون قائم على أخلاقيات الحوار والمناقشة بدون أدنى عنف.



الملاحق



## الملاحق : ملحق الفلاسفة والأعلام

يورغن هابرماس J. Habermas :

\* ولد يورغن هابرماس في سنة 1929، بمدينة دوسلد ورف بألمانيا. زاول دراسته العليا في جامعة غوتنغن (1949-1950)، زيوريخ (1950-1951) وبون (1951-1954). عين سنة 1956 مساعدا لثيودر أدورنو في معهد الأبحاث الاجتماعية الشهير بفرانكفورت، وقد كان اهتمامه طيلة فترة تواجده بالمعهد مرتبط بالفلسفة. غير أنه بدأ يميل بعد ذلك إلى الاهتمام بالنظرية خاصة بعد احتكاكه بكتابات "لوكاش" حول "التاريخ والوعد الطبقي" وكذا هوركهايمر/ أدورنو حول "جدلية العقل"، ثم لم يلبث بعدها إلى أن تحول إلى كلية علم الاجتماع خاصة حول البحث الذي أشرف على إخراج في إطار المعهد حول "الوعي السياسي للطلبة".

\* لقد غادر هابرماس معهد الأبحاث الاجتماعية في سنة 1959 ليتفرغ لرسالته التي ناقشها في جامعة "ماربورغ" سنة 1961 تحت عنوان "التحولات البنيوية للفضاء العمومي".

كما أننا نجد أن حياة هابرماس الفكرية مرت بمرحلتين :

## - المرحلة الأولى :

اشتغل فيها على نقد الفكر الوضعي الذي ساد في الغرب مع تطور ونضج النظام الرأسمالي وتطور البحوث التكنولوجية واستغلال هذا الفكر لعقلانية حركة التنوير ونزوعها لتحقيق الحرية والعمل.

## - المرحلة الثانية :

اهتم فيها ببناء نظرية اجتماعية تقوم على تأسيس حركة تنويرية جديدة أو استكمال الأولى وصياغة عقلانية تستهل بالمنجزات العصرية لعلوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية، وخاصة علم الاجتماع، علوم اللغة والاتصال وعلم النفس التربوي

التطويري بهدف إعادة فتح الطريق أمام الخلاص أو الحرية والعدل الذي حلم به فلاسفة التنوير الذي لم ينجح بسبب السقوط في الهيمنة واستغلال الرأسمالية للعلم.<sup>1</sup>

وفي غمار هذه المرحلة وضع هابرماس أيضا كتبه التي صاغ فيها فكره الخاص، بعد أن تمكن من التخلص من قيود الماركسية التقليدية من جانب ومن جانب آخر تأثير أستاذه "أدورنو" و "هوركهايمر"، لقد أكد مكانته باعتباره المدافع الرئيسي عن العقل التنويري كأساس للحدثة وما بعدها.

ويعتبر انجاز هابرماس الفكري هو تطوير لمفهوم نظرية "العقل التواصلي" تتميز عن التراث العقلاني الأوروبي بوضع العقلانية هيكل الاتصال اللغوي بين الأفراد. كما يعد أهم ممثلي الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت. وقد أفاد كثيرا من تطور العلوم الاجتماعية والتعمق في مشكلات نظرية المعرفة وفلسفة اللغة وبعض اتجاهات الفلسفة المعاصرة كالأنثروبولوجيا والهيرومينوطيقا. وقد انعكست كل هذه التيارات على تطويره لنظرية أو بمعنى آخر إعادة بنائه.<sup>2</sup>

كان هابرماس أحد أهم المنظرين وأوسعهم انتشارا في حقبة ما بعد الحرب العالمية، فهو منظر متعدد التخصصات، له إنتاج فكري ضخم في ألمانيا إلى شهرته كمنظر اجتماعي وسياسي، فهو عميد المسار الديمقراطي في ألمانيا.<sup>3</sup>

ولقد تأثر هابرماس بالأحداث التاريخية التي عاشها والتي كانت محركا له لاسيما الحرب العالمية الثانية وانبعث جمهورية ألمانية والحرب الباردة والاحتجاجات الطلابية وسقوط جدار برلين ونهاية الاتحاد السوفياتي. وفي عام 1954 حصل على دكتوراه بأطروحة عن الفيلسوف الألماني فريدريش شيلنج والتفت بعد ذلك إلى

<sup>1</sup> - توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، المرجع السابق، ص 160.

<sup>2</sup> - عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن 20، المرجع السابق، ص 47.

<sup>3</sup> - جيمس جوردن فنليسون، يورغن هابرماس، المرجع السابق، ص 10.

أعمال هاربرت ماركوز Herbert Marcuse والأعمال المبتكرة لكارل ماركس Karl Marx<sup>4</sup>

وقرب نهاية الحرب شأنه شأن المراهقين الألمان من عمره، انظم إلى حركة شباب هتلر عام 1945، وقد تطورت أفكاره السياسية في هذا حين، وانغمس في دراسة أعمال هايدغر. لكن سرعان ما نقض عن أفكاره بسبب تملصه من الحقيقة.<sup>5</sup> ومع شهرة هابرماس العالمية كفيلسوف، فإنه كان ولا يزال عالم اجتماعي بامتياز كونه انبثق من رؤية فلسفية تحليلية تشكل القاعدة الأساسية التي يقوم عليها دمج التحليل الفلسفي، وبهذا أصبح مرجعا مهما في الفلسفة وعلم الاجتماع والعديد من المجالات الأخرى.

#### ماكس هوركايمر Max Horkheimer (1885-1973) :

\* فيلسوف اجتماعي ألماني اشتهر بمجهوداته في النظرية النقدية كعضو في مدرسة فرانكفورت الفلسفية للأبحاث الاجتماعية. ساهم كعضو في مدرسة فرانكفورت في التخطيط والدعم لعدد من الأعمال الفكرية للمدرسة والتنبيه له.<sup>6</sup>

#### هربرت ماركيزوز (1898-1979) :

\* اكتسب شهرة عالمية خلال الستينات من القرن الماضي كفيلسوف ومنظر اجتماعي وناشط سياسي، بعد أن ذاع صيته في وسائل الإعلام بوصفه "الأدب الروحي للييسار الجديد" والمدافع عنه في الولايات المتحدة وأوروبا الأمر، الذي جلب له سمعة سيئة في الأوساط الحكومية.<sup>7</sup>

#### تيودر أدورنو Theodor Adorno (1903-1969) :

<sup>4</sup>- جيمس جوردن فنليسون، يورغن هابرماس، المرجع سابق، ص 10.

<sup>5</sup>- المرجع نفسه، ص 10.

<sup>6</sup>- مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية للفلسفة الغربية المعاصرة، جزء 1، ص 607.

<sup>7</sup>- المرجع نفسه، ص 755.

\* هو فيلسوف ألماني معاصر وناقد أدبي. يعتبر أحد كبار ممثلي مدرسة فرانكفورت وكان له أثر في فلاسفتها خاصة الجيل الثاني منها. كان له اهتمامات أدبية وفلسفية وجمالية وأخلاقية.<sup>8</sup> وقد كان شديد الشغف بالموسيقى بقدر اهتمامه بالفلسفة، إذ كان يحلو له أن يحدث عن نفسه قائلا : "لقد درست الفلسفة والموسيقى وبدلا عن الاختيار بينهما كنت طيلة حياتي أشعر بأنني ضمن هذين المجالين بصدد البحث عن الشيء نفسه". خصص أدورنو في دراسته الثانوية أكثر من سنة وطيلة المساءات كل سبت لقراءة نقد العقل المحض لكانط. ويعترف أدورنو بالأثر العميق لهذا الكتاب في تكوينه قائلا : "إنني أدين لهذه القراءة بأكثر مما أدين لمعلمي الأكاديميين".<sup>9</sup>

#### تالكوت بارسونز Talcott Parsons (1902-1979) :

\* ولد بمدينة سبرنج ولاية كولوراد الأمريكية، تتميز بنظرية النسق الاجتماعي، أي أن المجتمع يملك واقعا وحقيقة اجتماعية مستقلة عن وجود الأفراد.<sup>10</sup>

#### هربرت ميد George Herbert Mead (1863-1931) :

\* عالم أمريكي في علم النفس الاجتماعي ومؤسس النظرية التفاعلية الرمزية، بل يعتبر المنظر الرئيسي لها. كما أن عمله الرئيسي المرسوم بالعقل والذات والمجتمع Mindeseffiandociety 1934. وبعد موته قام طلبته بجمع مذكراته التي كان يلقيها عليهم.<sup>11</sup>

<sup>8</sup>- رمضان بسطاوي، الأسس الفلسفية لنظرية أدورنو الجمالية، ضمن مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، العدد 7، 2002، ص 225.

<sup>9</sup>- مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية للفلسفة الغربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 529.

<sup>10</sup>- علي عبود الحمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة، المرجع السابق، ص 55.

<sup>11</sup>- أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس، المرجع السابق، ص 118.

## كارل ماركس (1818-1883) : Karl Marx

\* يعتبر مؤسس الشيوعية العلمية والفلسفة المادية الجدلية والمادة التاريخية والاقتصاد السياسي العلمي صاحب النظرية الماركسية.<sup>12</sup> في بداية الأمر لم يكن ماركس فيلسوفا بل كان عالما في الاجتماع والاقتصاد وثوريا ناشطا. دخلت الفلسفة في نظريته عن الإنسان لا باعتباره دراسة مستقلة، بل بوصفها من عناصر تلك النظرية.<sup>13</sup>

## هيجل Georgee Withem Friedrich Hegel :

\* ولد هيجل في 27 أغسطس سنة 1770، وتوفي عام 1831. واحد من الفلاسفة الكلاسيكيين الألمان، مثالي موضوعي. كان هيجر الشاب الراديكالي الذي رحب بثورة القرن الثامن عشر الفرنسية، وتمرد على النظام الإقطاعي. ولكن الرجعية التي حلت في كل أنحاء أوروبا بعد سقوط إمبراطورية نابليون أثرت في طريقة تفكيره. في عام 1818م تولى كرسي الأستاذية في جامعة برلين وأصبح مدافعا، بل حتى مؤسسا للفلسفة الرسمية. وقد عكست فلسفة هيجل التطور المتناقض لألمانيا عشية الثورة البرجوازية.<sup>14</sup>

\* عكف على الدراسات الكلاسيكية ومن بين ما قام به أن ترجم وهو في سن مبكرة "متن الأخلاق" لأبكتاتوس، كما ترجم رسالة لونغينوس ... وقد ظل شديد الإعجاب بمسرح سوفوكليس.

\* كان هيجل أقل حماسة عن جيله، بل وأكثر اتزاناً منهم حتى أنه نعت بالشيخ العجوز، وكان هذا نتيجة الميل السابق لديه للتفكير وعدم الحماسة الطاغية

<sup>12</sup>- أبو النور حمدي أبو النور حسن، الأخلاق والتواصل، المرجع السابق، ص 31.

<sup>13</sup>- محمود نجيب زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، دار العلم، بيروت، د ط، ص 388.

<sup>14</sup>- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، جزء 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د ط، 1984، ص 570.

المفتعلة، لكنه من الناحية الفكرية، أي من ناحية الآمال التي اختلجته هو وزملاؤه بقصد تمجيد الإنسانية وعبادة العقل ورفع الإنسان مكانة عالية.<sup>15</sup>

\* يعتبر أحد أهم فلاسفة الألمان ومن أهم مؤسسي الحركة المثالية الألمانية.

كارل أوتو آبل **Karl Otto Apel** : ولد آبل عام 1922، واحد من أوائل المفكرين الذين أخذوا بعين الاهتمام المنعطف البرغماتي.<sup>16</sup> فيلسوف ألماني معاصر زميل هابرماس في جامعة فرانكفورت، يمثل ما يسمى بالتداولية الترنسندنالية.<sup>17</sup>

<sup>15</sup>- روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة : سمير كرم، مراجعة : جورج طاربيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص 527.

<sup>16</sup>- كريستيان دولاكومبان، تاريخ الفلسفة في القرن العشرين، ترجمة : حسن أحجيج، جداول للنشر والترجمة والتوزيع، الرباط، ط 1، 2015، ص 321.

<sup>17</sup>- كارل أوتو آبل، التفكير مع هابرماس ضد هابرماس، المرجع السابق، ص 11.

المصادر:

1. يورغن هابرماس، الفلسفة الألمانية والتصوف اليهودي، ترجمة: نظر الجاهل، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1995.
2. يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحدثة، ترجمة فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د ط، 1990.
3. يورغن هابرماس، بعد ماركس، ترجمة: محمد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2002.
4. يورغن هابرماس، العلم والتقنية كايولوجيا، ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل، ط1، المانيا، 2002.
5. يورغن هابرماس، إتيقا المناقشة، ترجمة: عمر مهيب، الدار العربية للعلوم الناشر، منشورات الاختلاف، ط1، 2010.

المراجع:

1. أبو النور حمدي أبو النور حسن، يورغن هابرماس- الأخلاق والتواصل، دار التنوير للطباعة والنشر، د ط، 2012.
2. الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة - نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت 2005.
3. ألن هاو، النظرية النقدية- مدرسة فرانكفورت، ترجمة ثائر ديب، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2010.
4. توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: هجرس سعد، مراجعة: محمد حافظ دياب، دار أوبا للنشر والتوزيع، ط2، 2004.
5. جاكين روس، الفكر الأخلاقي المعاصر، ترجمة: عادل عوا، ترجمة: عويدات للنشر والطباعة، ط1، بيروت، 2010.
6. جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة: عمر مهيب، الدار العربية للعلوم ومنشورات الاختلاف، ط1، بيروت، 2006.
7. جورج لارين، الإيديولوجيا والهوية الثقافية، ترجمة: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، ط1، القاهرة، 2002.

8. جيمس جوردن فنيلسون- يورغن هابرماس مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: أحمد محمد الروبي، مراجعة: ضياء، مؤسسة الهنداوي، ط1، القاهرة، 2015.
9. حسان الباهي، الحوار والمنهجية التفكير النقدي، إفريقيا الشرق، د ط، 2015.
10. حسن مصدق، هابرماس ومدرسة فرانكفورت -النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 2005.
11. زروخي دراجي، المذاهب الفلسفية من سؤال المعرفة الى سؤال القيم، دار صبحي للطباعة والنشر، ط1، غرداية، 2005.
12. زروق زينة، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى الى مأزق الإجراء، كتاب جماعي، إشراف وتحرير: سمير بلكفيف، د ط، الجزائر.
13. ستيفان هاربر، السوسيولوجيا، ترجمة: محمد حديدي، منشورات الاختلاف دار الايمان، ط1، الرباط، 2012.
14. سعد البازغي، ومبحان الرويلي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع، ط2، 2000.
15. عادل مصطفى، فهم الفهم -مدخل الى الهيرومينوطيقا - نظرية التأويل من أفلاطون الى غادامير، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2013.
16. عبد الغفار مكاوي، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت- تمهيد وتعقيب نقدي، حوليات كلية الادب، الحولية 13، د ط، الكويت، 1993.
17. عطيات أبو السعود، الحصاد الفلسفي للقرن العشرين، مكتبة الإسكندرية منشآت المعارف جلال الدين وشركاؤه، د ط.
18. علي عبود المحمداوي، مدرسة فرانكفورت النقدية- جدل التحرر والتواصل والاعتراف، ابن ناديم للنشر والتوزيع، دار الروافد الثقافية، ط1، 2012.
19. علي عبود محمداوي، الإشكالية السياسية للحدثة، منشورات الاختلاف، دار الأمان، ط1، 2010.

20. عمر المهيبيل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، ط1، 2005.
21. غالي حسين دواجي، الفاعلية التواصلية عند هابرماس- اللغة والمعنى، مجموعة مؤلفين، الدار العربية للعلوم الناشر ومنشورات الاختلاف، ط1، لبنان، 2010.
22. فتحي التريكي ورشيدة التريكي، فلسفة الحداثة، مركز الانماء القومي، د ط، 1992.
23. فرونسوا أوالد، هابرماس- جدلية العقل الحديث، تأليف جماعي ضمن كتاب المسارات الفلسفية، دط.
24. كارل أوتو أبل، تفكير مع هابرماس ضد هابرماس، ترجمة: عمر مهيبيل، المركز الثقافي العربي الدار العربية للعلوم منشورات الاختلاف، د ط، 2005.
25. كمال بومنيير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت من ماكس الى هوركهايمر الى أكسل هونيث، الدار العربية للعلوم الناشر، ط1، 2010.
26. كريستيان دولاكومبان، تاريخ الفلسفة في القرن العشرين ترجمة: حسن أحجيج، جداول للنشر والتوزيع، ط1، الرباط، 2015.
27. مانفريد فرانك، حدود التواصل، ترجمة: عز العرب الحكيم بناني، دار البيضاء، 2002.
28. محمد الشيخ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2008.
29. محمد الشيخ وياسر الطائي، مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1996.
30. محمد عبد السلام الأشهب، فلسفة الحق في نظرية الفعل التواصلية- من الشموليات الى السرديات الصغرى، كتاب جماعي، تحرير: علي عبود المحمداوي، مراجعة: إسماعيل مهنانة، دار ابن الناديم، ط1، 2012.
31. محمد نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة- هابرماس نموذجاً، افريقيا الشرق، ط2، لبنان، 1998.

32. نيكلاس لومان، مدخل الى نظرية الأنساق، ترجمة: فهمي حجازي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1996.
33. J.Habermas, théorie de l'agir communicationnel, trad, J.M Ferry, paris, 1987.
34. Michel serres, le contral social, ed françois burtrin, paris, 1990.

موسوعات ومعاجم:

1. أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب خليل أحمد أحمد، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2008.
2. ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار بيروت للطباعة والنشر، د ط، بيروت 1955.
3. تدهوندرتش، دليل أكسفورد، الجزء الأول، ترجمة: نجيب الحصادي، المكتب الوطني للبحث والتطوير، د ط، ليبيا.
4. جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات الفلسفية والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، د ط، تونس، 2004.
5. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1992.
6. روزنتال يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، مراجعة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، د ط، بيروت.
7. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1984.
8. مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، 2009.
9. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، د ط، القاهرة، 2007.
10. محمود نجيب زكي، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: فؤاد كامل وآخرون، دار العلم، د ط، بيروت.

11. مجموعة من الأكاديميين العرب، موسوعة الأبحاث الفلسفية الغربية المعاصرة، تقديم علي حرب، إشراف وتحرير علي عبود المحمداوي، منشورات الاختلاف، ط 1، 2013.
12. مجموعة باحثين، المعجم الفلسفي المختصر، ترجمة: توفيق سلوم، دار التقدم، ط 1، موسكو، 1986.
13. مي عبد الله، المعجم في المفاهيم الحديثة للاعلام والاتصال، دار النهضة العربية، ط 1، لبنان، 2014.
14. Andre lalande, vocabulaire technique et ertique de la philosophie, press universitaire de la France 2, paris, 1998.

#### المجلات:

1. أحمد عبد الحلیم عطية، ما بعد الحداثة والاختلاف، ضمن مجلة إصدارات أوراق فلسفية، مقالات فلسفية، القاهرة.
2. أيان كريب، النظرية الاجتماعية من بارسونز الى هابرماس، ترجمة: حسن غلوم، مراجعة محمد عصفور، ضمن مجلة عالم المعرفة، العدد 224، عالم المعرفة، الكويت.
3. رمضان بسطاوي، الأسس الفلسفية لنظرية ادورنو الجمالية، ضمن مجلة أوراق فلسفية، العدد 7، القاهرة، 2002.
4. عطيات أبو السعود، نظرية الفعل التواصلي عند هابرماس، تأليف جماعي، تحرير: احمد عبد الحلیم عطية، العدد 10، ضمن مجلة أوراق فلسفية، القاهرة، 2004.
5. فرانك كايم، الحداثة وما بعد الحداثة، ترجمة: أحمد محمد حسن، ضمن مجلت الفن المعاصر، العدد 3، القاهرة، 2001.
6. كنزي محمد فوزي، دراسة فرانكفورت على المحك -منظور تواصلي، ضمن مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد 9، 2014.

7. محمد الجديدي، روتي بين هابرماس وليوتار، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، العدد 124، مركز الانماء القومي، بيروت، 2008.
8. مراد وهبة، مابعد الحداثة، مجلة إيداع، الهيئة العامة للكتاب، العدد 11، القاهرة، 1992.
9. هابرماس، الحداثة مشروع ناقص، ترجمة: بسام بركة، ضمن مجلة العلوم الإنسانية والحضارية، العدد 39، مركز الانماء القومي العربي، لبنان، 1996.
10. هابرماس العلاقة بين العالم ومظاهر العقلانية، ترجمة: جورج أبو صلاح، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الانماء القومي، العدد 46، بيروت 1987.

## الفهرس

- ❖ المقدمة ..... أ-ب-ج-د
- ❖ مدخل مفاهيمي ..... 06 -01
- ❖ الفصل الأول : الحفريات الأخلاقية والفلسفية في فكر هابرماس ..... 43 -07
- المبحث الأول : خلفيات مرجعية لفكر هابرماس ..... 18-09
- المبحث الثاني : مدرسة فرانكفورت وإسهامات هابرماس ..... 25 -19
- المبحث الثالث : مسألة الحدائة وموقف هابرماس منها ..... 34 -26
- المبحث الرابع : مفهوم الإتيقا عند هابرماس ..... 43 -35
  
- ❖ الفصل الثاني : من أجل أخلاق تواصلية ..... 72 -44
- المبحث الأول : دور اللغة في التواصل لدى هابرماس ..... 50 -46
- المبحث الثاني : إتيقا المناقشة والحوار ..... 62 -51
- المبحث الثالث : النظرية التواصلية بعدسة هابرماس ..... 72 -63
  
- ❖ الخاتمة ..... 75 -73
- ❖ الملاحق ..... 82 -76
- ❖ المصادر والمراجع ..... 89 -83